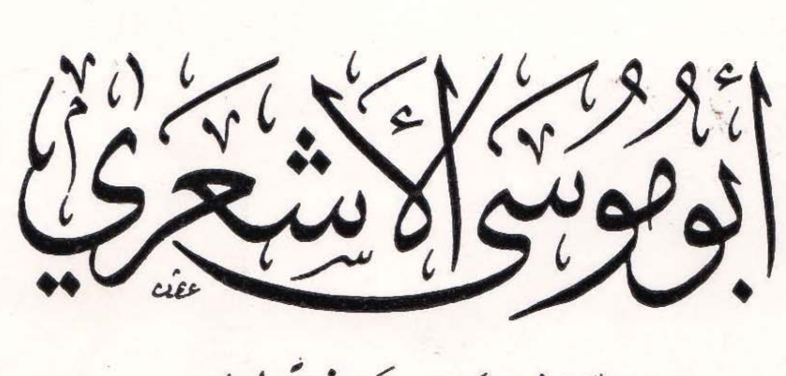









الرباني العابد والفاتح المجاهد

محمد علي دولة

دار القلم

دمشق - بيروت


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سير إسلامية



# أبو موسى الأشعري

## الرباني العابد والفاتح المجاهد

محمد علي دولة

طبعة ثانية منقحة

الطبعة الثانية

١٤٠٠هـ

١٩٨٠م



دار القلم

دمشق ـ بيروت

الإدارة : دمشق ـ حلبوني ـ ص.ب ٤٥٢٣ ـ هاتف ٢٢٩١٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

# من الظلمات إلى النور

## - ١ -

احتفل الأشعريون في بلاد اليمن ببلوغ عددٍ من غلمانهم مبلغ الشبان ، وتجاوزهم فترة المراهقة ، وعمّ الفرح القبيلة بأسرها : رجالاً ونساء ، كباراً وصغاراً، وكانت تلك الليلة ليلة مشهودة ، فلقد أضاء ظلماءَها نور القمر ، واجتمع فيها رجال القبيلة ، وخلفهم النساء . ثم تقدم عدد من شباب هذه القبيلة إلى شيخ قبيلتهم ، فلاَث على رأس كل واحدٍ منهم عمامة ، ثم تكلم في الجمع كلمة عبَّر فيها عن اعتزازه بهذه الطائفة من أبناء قبيلته التي بلغت مبلغ الشبان ، ورَجا لهم مستقبلاً سعيداً ، وحثهم على أن يحفظوا كرامة قبيلتهم ، وأن يكونوا شجعاناً في الذود عن شرفها ، وطلب إليهم أن ينسجوا على منوال أبيهم الأول : نَبْت بن أُدد ، الذي اشتهِر بلقب

« الأشعر » لأن أمه ولدته وعليه شَعَر ، والذي كان عظيم الشأن ، كبير القدر بين الناس .

وبعد كلمة شيخ القبيلة انصرف الحضور إلى الشراب والغناء والفرح ، وقضوا في ذلك شطر ليلتهم .

وكان من بين أولئك المراهقين(١) الذين احتفل بمبلغهم مبلغ الشبان « عبد الله بن قيس (٢) ، بن سُلَيم بن حضّار .. ابن الأشعر .. بن يعرب بن قحطان » كان شاباً قصيراً ، خفيف الجسم ، قد اخضر شاربه وسال عِذاره ، وكان يتيماً يعيش في رعاية أم له وأخوين يكبرانه ، يقال لأحدهما : أبو بُرْدة ، وللآخر : أبو رُهْم .

بيد أن هــذا الشاب كان يمتاز من سائر شباب قومه الصغار ، بوَفْرة ذكائه ، ورجاحة عقله ، وبعد نظره ، وإعمال تفكيره ، وبعده عن التقليد الذي ناء بكلكله على جميع العرب في جزيرتهم .

---

(١) في معجم لسان العرب : راهق الغلام فهو مراهق إذا قارب الاحتلام .

(٢) هو اسم صاحب هذه السيرة : أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

كان على الرغم من حداثة سنه لا يعبأ كثيراً بما عليه الناس من أفكار وآراء ، ويفكر في كل ما حوله ، وفي كل ما يسمعه ، ولا يسلّم للناس في آرائهم بسهولة ، بل يناقشهم بها ويبدي لهم رأيه .

وقد أنكر على قومه تقديسهم للأصنام التي نصبها آباؤهم وأجدادهم، وأنكر عليهم تعظيمهم «للعزّى» ذلك الصنم الذي كان في نخلة والذي عظمه سائر العرب ، ورأى في تلك الاصنام حجارة حقيرة لا تستحق شيئاً من الاحترام ، بَلْهَ العبادة ، وجعل يعيب على قومه معتقداتهم بشجاعة ، ولا يأبه لسخريتهم منه .

أعرض عبد الله بن قيس عن عبادة الأصنام ، ودعا لمشاركته في ذلك عدداً من أنداده من شباب « رِمَع » ووادي « زبيد » حيث كانت تنتشر قبيلته ، وبذل جهداً في ذلك ، واستطاع أن يؤثر على أخويه اللذين يكبرانه ، فلانا له ، وأكبرا عقله ، كذلك استطاع أن يؤثر على عمٍّ له كان يكبره بقليل يقال له « أبو عامر » ، وأصبح هؤلاء جميعاً لا يُعظمون العزّى ولا غيرها من أصنام العرب . وأخذ عبد الله يقلّب وجهه في السماء كأنه يستعين بها على الهداية للحق ، بعد أن رفض زيف معتقدات الأرض ، وأخذ يتلهف لمعرفة سر الوجود والوصول إلى الدين الحق .

كانت ظلمات الجاهلية كثيفة جداً تحجب الروح عن انطلاقتها ، والعقل عن تفكيره ، والنظر عن سياحته في كون الله العظيم . فالقوم جميعاً يعبدون الحجارة . أينما اتجهت في جزيرة العرب ترى أصناماً منصوبة ، وأوثاناً قائمة ، وهذه وتلك يُعتقد فيها أنها آلهة تقرّب من إله السماء ، ومن ناحية ثانية فقد غرق القوم في بحر الشهوات ، فهم يشربون الخمر ولا يرتوون منها ، وهم يتعاطون الزنى ولا يستنكرونه ، ويقترفون غير ذلك من الفواحش والآثام ،مما جعلهم ينصرفون عن التفكير الجاد في سر الوجود وعظمة الموجد .

ولقد عاش « عبد الله بن قيس » في ذلك الجو المظلم في حَيْرة من أمره ، فهو قد رأى أن الأصنام لاتستحق العبادة فرفضها وأقنع غيره برفضها ، ولكن إلى من يتوجه بقلبه ووجهه ؟ من يعظّم ، ومن يعبد ؟ كيف يشغل هذا الفراغ الخطير الذي يشعر به ؟!

لقد مضى عليه ما يزيد عن سنتين وهو يتطلع إلى أن يتعرف على الدين الحق ، ويعبد الله الذي خلق السموات والأرض على بصيرة ، ويتعرف على المنهج الحق في عبادة هذا الخالق الذي يدين له،ويشغل فكره وروحه بالحق لابالباطل.

## - ٢ -

في ذلك الوقت وفي تلك الأحوال الداكنة التي غاب فيها وجه الحق عن سائر البشر ؛ نظرت السماء إلى الأرض نظرة إشفاق وعطف، فأنزلت رحمتها العظمى لأهل الأرض وابتعث الله محمداً ﷺ خاتماً للنبيين ورحمة للعالمين ، وقام النبي في بلده مكة ، وأخذ يدعو الناس إلى التوحيد ويخوفهم يوم الحساب ، ويجلو العقول والقلوب من الأوهام التي تعلّق الناس بها وهم يحسبونها معتقدات صحيحة .

وانتشرت أنباء دعوته خارج مكة ، وتسامع العرب بها في كل مكان،وجذبت انتباه أولئك الذين رفضوا عبادة الأصنام وتطلّعوا لعقيدة سليمة مستقيمة . وكان من هؤلاء عبد الله ابن قيس الأشعري ، الذي فرح بأنباء تلك الدعوة ، وصار يتسقَّط أخبارها ، ويسأل عنها وعن صاحبها كل قادم من مكة المكرمة .

وبقي عبد الله مدة يسأل الناس عن دعوة ذلك القرشي الذي يقول إنه نبي مرسل من عند الله تعالى ، ولكنه لم يظفر منهم بما ينقع غلّته ، وفكر فيما يفعله حتى يعلم حقيقة هذه الدعوة ، وهداه تفكيره إلى السفر إلى مكة،والتعرف على ذلك الدين عن كثب ، ثم لم يلبث أن جدّ في أمره وعزم على السفر مهما أصابه في سبيل ذلك .

وحدّث عبد الله أخويه اللذين يكبرانه بشأن هذا النبي ، وكشف لهما عن رغبته بالسفر إلى مكة ليتعرف على حقيقة دعوته ، وطلب إليهما أن يصحباه في سفره أو أحدهما ؛ لكنهما لم يستجيبا له ، بل لقد خوّفاه من هذه المغامرة الشاقة ، وحذّراه قريشاً التي شاع في جزيرة العرب أنها قد حاربت هذا الدين الجديد حرباً قاسية ، وطلبا منه أن يكف عن تفكيره هذا .

بيد أن عبد الله لم يتأثر بكلام أخويه ، وبقيت عزيمته قوية في الرغبة في الذهاب إلى مكة ، لكنه يفتش عمن يرافقه في هذه الرحلة الخطيرة ، وتوجه إلى عمه أبي عامر ، وأفضى له بما عزم عليه ، وطلب إليه أن يصحبه ، فاستجاب أبو عامر ، وفرح عبد الله بذلك ، وبدأ الشابان يعدّان عدتهما لذلك السفر البعيد .

- ٣ -

لم تمضِ أيام قليلة حتى انطلق عبد الله بن قيس وعمه أبو عامر من وادي زبيد باليمن باتجاه بلاد الحجاز ، ولم يعلم بمقصدهما إلا نفر قليل من أقاربهما ، وابتدأ الشابان رحلة شاقة مضنية ، أمضيا فيها ما يزيد على عشرة أيام بلياليها حتى كلّت رواحلهما . وأخيراً وصلا إلى مكة المكرمة ، وطابت نفساهما بعد ذلك الجهد المرير ، وتوجها من توّهما ، فطافا

حول الكعبة المعظمة ، ثم رجعا إلى رحليهما وقد أدهشتهما كثرة الأصنام المنصوبة حول الكعبة ، وأحزنهما ما شاهداه من تعظيم الناس لها .

جلس الشابان الأشعريان يفكران كيف يصلان إلى محمد بن عبد الله الهاشمي ، وخافا أن يفتضح أمرهما ، فقريش قد عادته عداء شديداً ، وآذته وأصحابه أذى بليغاً ، وهي تدعو الناس لتجنبه وعدم الاتصال به ، وتحرِّض على ذلك كل قادم إلى مكة . ثم هما لا يعرفانه ولا يعرفان أوصافه فما السبيل إلى ذلك ؟! .

وقال عبد الله لعمه : علينا أن نطوف بالبيت بكْرة وعشياً وأن نتفرس في وجوه الناس ومجتمعاتهم ، ولا بد أن نهتدي إلى من نريد من غير أن نسأل عنه أحداً ، فصاحبنا الذي نبغي لا بدّ أنه يتعبّد في البيت على نحوٍ لايفعله قومه ، ولا بد أن له سمتاً يتميز به من سائر الناس ، وإذا سألَنا أحدٌ من قريش عن شأننا أجبناه : بأنا قد نذرنا أن نعظم هذا البيت أياماً ، فنحن نفي بنذرنا .

وأعجب أبا عامر رأيُ ابن أخيه ، وصارا يطوفان حول البيت كل يوم مرتين : صباحاً ومساء ، وأخذا ينظران في الناس ويتفرّسان في الوجوه ، ويغشيان المجتمعات والحلقات،

وينصتان إلى كلام السادة من قريش ، من غير أن يظهر منهما شيء يريب القوم .

ومضت أيام عليهما وهما لا يريان إلا وجوهاً متشابهة من الناس ، وكلها تقف أمام باب الكعبة متجهة إلى الذي في جوفها ( هُبل ) فتعظمه ، وبعضهم يذهب إلى ( إساف ونائلة)، فيتمسح بهما ، وكثيرون من الناس يأتون بذبائحهم، فيهريقون دماءها تحت أقدام هـذه الأصنام . وتساءل الشابان : أين هذا الرجل صاحب الدين الجديد ؟ أين أصحابه !!

وفي أمسية مقمرة طاف أبو عامر حتى ملّ الطواف فأوى إلى رحله ، وترك صاحبه عبد الله يطوف حول البيت وينظر ها هنا وها هنا ، وكأنه يبحث عن غائب ، وإذا به يرى رجلاً مقبلاً نحو البيت ، تغشاه السكينة والوقار ، ويزينه الجمال والجلال ، ونظر في وجهه وهو يطوف فإذا به يرى وجهاً جديداً لم يره من قبل عند البيت(١) ، وأقبل عبد الله على هذا الرجل ينظر ما يصنع ، فرآه قد طاف حول البيت وهو يتمتم بكلمات لم يلتقط سمعه إلا القليل منها ، ولكنها كلمات ما سمع بمثلها،

---

(١) كان عليه الصلاة والسلام يحب أن يطوف بالبيت إذا خلا من الناس ، لذا كان يأتيه ليلاً بعد انفضاض قريش .

ثم لاحظ أنه في أثناء طوافه لا يلتفت أبداً إلى الأصنام ، بل يتحاشاها ويتحاشى النظر إليها .

وقال عبد الله في نفسه : لا بد أنه الرجل الذي نريد ، وهمّ أن يدنو منه فيكلمه ، لكنه انتظر قليلاً ليرى ماذا يصنع ، فإذا به يتخذ لنفسه مكاناً بعيداً عن الأصنام ، ثم يتجه نحو الكعبة ، ثم يقف بخشوع : يقرأ ، ثم يركع ثم يسجد ، ثم يقوم . وقال عبد الله : إن هذا لشيءٌ لم أرَ أحداً من أهل مكة فعله ، وأحلف بالله إن هذا الرجل المبارك لهو صاحبنا الذي رحلنا من أجله ، ونظر عن يمينه وعن يساره حتى إذا اطمأن إلى أن أحداً لا يراه وأن الحرم قد خلا من الناس ، تقدم من هذا الرجل وسلم عليه وجلس إلى جانبه ، ثم قال له : أنت محمد بن عبد الله ؟ فأجابه : نعم ، ومن أنت ؟ فقال : أنا عبد الله بن قيس الأشعري ، ارتحلت من بلادي أنا وعمٌّ لي كي نراك ونتعرف على ما تدعو إليه الناس .

وبشّ له رسول الله ﷺ ، ورحب به ، وأعجب بهذا الشاب الذي لم يتجاوز السابعة عشرة يدفعه بحثه عن الحق لهذه الرحلة البعيدة ، فامتدح له رحلته ، وطابت نفس عبدالله وقال له : أخبرني إلامَ تدعو الناس ؟ فقال له : أدعوهم لعبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يدَعوا ما هم عليه من عبادة

الأصنام . وتحدث له رسول الله عن ضلال الناس في عبادة الأصنام وعن الله الواحد الأحد ، الصانع المبدع، الحيّ القيّوم، الذي جعل الناسُ له شركاء فضلوا ضلالاً بعيداً ، ثم حدثه عن مبادىء دينه وأصول دعوته .

وتفاعل قلب عبد الله بكلمات النبي عليه الصلاة والسلام، وتلقّاها كما يتلقى الغريب البعيد أخبار أهله وأحبته ، وقرأ الصدق في وجه النبي ﷺ وفي كلماته، وقال له النبي ـ وقد رأى تأثره ـ : اسمع يا عبد الله ، وتلا عليه آيات من القرآن الكريم، فخشعت نفس عبد الله خشوعاً عظيماً ، حتى إذا انتهى النبي عليه الصلاة والسلام قال له عبد الله : من صاحب هذا الكلام ؟ فأجابه النبي : هذا كلام الله تعالى الذي أنزله عليّ ، فقال عبد الله : والله لم أسمع بمثل هذا الكلام ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

وسرّ النبي ﷺ لسرعة استجابة هذا الشاب ، وسعد بإسلامه ، فأثنى عليه خيراً ودعا له ، ثم واعده غداً في مثل هذا الوقت حتى يأتيه بعمه .

وعاد عبد الله إلى رحله مسروراً غاية السرور ، ورأى عمه آية ذلك في وجهه ، فقال له : مَهْيَم(١) ؟ فأجاب : لقيت

---

(١) مهيم : ما الأمر ؟ وهي لغة يمانية .

الرجل ، لقيتُ محمداً رسول الله ، وآمنتُ به واتبعته على دينه ، ثم جعل يقص عليه وهو في نشوة غامرة قصة لقائه به وتعرفه عليه ، وكيف آمن على يديه .

وفي الليلة التالية التقى عبد الله بن قيس ومعه عمه أبو عامر برسول الله ﷺ ثانية ، وأقبل النبي عليه الصلاة والسلام على أبي عامر ، وكلمه بنحو ما كلم به عبد الله وتلا عليه آيات من القرآن الكريم ، فآمن سريعاً ، وشهد شهادة الحق . وسر عليه الصلاة والسلام بإسلام هذين الشابين اليمانيين ، وامتدحهما على سبقهما لقومهما بالإسلام ، ثم حدّثهما عن دعوته وكيف ابتدأت ، وعن أصحابه وما أصابهم في سبيل الدعوة ، وعن موقف قريش من هذه الدعوة ، وحكى لهم قصة أصحابه الذين هاجروا فراراً بدينهم إلى أرض الحبشة،وكيف أن قريشاً امتد ايذاؤها لهم إلى هناك،لكن الله سبحانه قد أبطل مكرها ، وحمى أصحابه ، وآمنهم.وأخبرهم عليه الصلاة والسلام أنّ دينه لا بدّ أن يظهر ويعتنقه العرب والعجم ، ويمكّن الله له في الأرض .

وانبسطت أسارير الشابين فرحاً وسروراً بما سمعا ، وقالا للنبي ﷺ : مرنا بأمرك يا رسول الله ، إن شئت بقينا عندك وتحملنا كما تحمل إخواننا ، وإن شئت رجعنا إلى قومنا

فدعوناهم إلى دينك ، وإن شئت لحقنا بإخواننا في الحبشة فكنا معهم ، فأثنى عليهما النبي ﷺ خيراً ، ثم أمرهما بالرجوع إلى قومهما والدعوة إلى الله ، حتى إذا ظهر أمره هاجرا إليه.

وقال الشابان : سمعاً وطاعة يا رسول الله . ثم مكثا في مكة عدة ليال أقرأهما فيها النبي ﷺ عدداً من سور القرآن وعلمهما الصلاة وأداءها ، وبعد ذلك انطلقا راجعين إلى اليمن، وقد فازا بأعظم ما في الوجود : فازا بالإيمان واليقين ، والاسلام لله رب العالمين .



# هِجْــرَة الى اللهِ وَرَسُوله

## - ١ -

عاد عبد الله بن قيس وعمه أبو عامر إلى بلاد اليمن بعد تلك الرحلة الظافرة ، كان سرورهما عظيماً بما تحقق لهما فقد عرفا الله سبحانه واهتديا إلى دينه الحق ، وآمنا بخاتم النبيين والمرسلين .

وشعر عبد الله بسعادة بالغة تغمر نفسه ، فقد انتقل من ضلال إلى هدىً ، ومن حَيْرة إلى يقين ، ومن ظلام إلى نور . لقد تعرف على الدين الذي يعزز ما كان يجده في نفسه من رفض للتقليد ، وتطلعٍ إلى التفكير والنظر والاستدلال ، وانعتاقٍ من الضلالات الكثيفة التي كان يغرق بها الجميع .

وقام عبد الله يدعو الناس إلى الدين الذي آمن به ، ويرغبهم فيه ، ويزهدهم في عبادة الأصنام . وبدأ بأهله فدعا أخويه : أبا بُردة وأبا رُهم ، ودعا أمه ، فاستجابوا له جميعاً ، فأسلموا ، وصار بيتهم بيت إسلام وإيمان . ثم انتقل إلى دعوة

الآخرين ، فكلّم أصدقاءه وأقاربه ، ثم صار يعرض الدعـوة على سائر أبناء عشيرته ويسمعها لكل واحد منهم .

وحال التقليد الأعمى الذي كان يسيطر على القـوم بينهم وبين الاستجابة لداعية الاسلام فيهم ، وقال له معظم الناس : إننا لاندع ما وجدنا عليه آباءنا لدين مُحْدَث مبتدع ، فقال لهم عبد الله : إن آباءنا قد ضلّوا كثيراً بعبادتهم أصناماً لا ترى ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ، وإن أحق من يعبده الناس هو الله خالق السموات والأرض ، فأجابه قومـه : إنما نعبدهم ليقربونا إلى إله السماء ! وجادلهم هـذا الداعية الشاب في كلمتهم هذه وبيّن لهم جانب الخطأ فيهـا ، فلم يجد عندهم الاستجابة ، فكأنما كانت عقولهم مغلقة لا تنفذ إليهـا كلمة هدى ، وكأنما كانت قلوبهم مقفلة لا يصل إليها بصيص من نور .

لكن صاحبنا لم ييأس من صدود قومه عن دعوته ، ولم يفتّ في عضده أنهم أخذوا يتهكمون به ويسخرون منه ، ولم يبال بما بلغه من تهديد سادات الأشعريين له إذا هو لم يكف عـن النيل من معتقداتهم ، فقد كان تلقى من رسول الله ﷺ درساً بليغاً وهو يقصّ عليه ما أصابه وأصاب أصحابه من الشدائد ، وما تحملوه رضي الله عنهم في ذات الله تعالى ، وما تحمله هو صلوات الله وسلامه عليه ـ خصوصاً يوم الطائف من ثقيف ـ

لذا فقد وطّن نفسه على تحمل الشدائد ، وعزم على مواصلة الدعوة والتذكير .

وشجعه على ذلك ما كان يبذله عمه أبو عامر من جهد كبير في تبليغ الدعوة ، وما بلغه هو الآخر من تهديد زعماء الأشعريين . وداب هذان الشابان يدعوان إلى الله على بصيرة ويلوّنان في أسلوب الدعوة ، ويتودّدان إلى الناس ، وكلهما رجاء ان يفتح الله قلوب الأشعريين جميعاً إلى هذا الدين ويهديهم إليه .

## - ٢ -

مضى على عبد الله بن قيس سنتان وهو يدعو قومه إلى الاسلام ، ويرغبهم فيه ، ولم يستجب له إلا أخواه وأمه وبضعة أفراد من خاصّة أهله وأقاربه ، وكان هذا حصيلة جهده وجهد عمه أبي عامر .

بيد أنّ الأشعريين وإن رغبوا عن الاسلام ، فقد كان نفرٌ كبير منهم يجلس إلى عبد الله ليستمع إليه وهو يتلو القرآن الكريم ، واستطاع هو أن يغزو قلوبهم بهذا الأمر ، فخشعت تلك القلوب أمام عظمة آيات القرآن ، وروعة صوت هذا الداعية فيه، وصار الناس يغلبون على أنفسهم، فيجدون دافعاً قوياً يدفعهم للاستماع لعبدالله ، بل إن بعضهم صار

يتجشَّم عناء السير الطويل من اجل أن يستمع لــه ويتلذذ بالإصاخة إليه .

ووصل إلى عبد الله نبأ هجرة النبي ﷺ إلى يثرب آمناً سالماً ، وعلم أن النبي ﷺ قد وجد في يثرب داراً لأصحابــه ووطناً لدعوته ، وأن أهلها قد عاهدوه على أن يمنعوه ممــا يمنعون منه أنفسهم وأهلهم ، وأن معظم الأوس والخزرج قد أسلموا ، وسرّ بهذه الأنباء سروراً تاماً ، وبشر عمه أبا عامر وأخَويه ومن أسلم معهم ، وأيقن أن هذه الهجرة هي بدايــة المد العظيم لهذا الدين ، الذي سوف لا تلبث أن تنداح دائرته حتى تشمل العرب جميعاً .

واستأنف عبد الله الدعوة إلى الاسلام بعزيمة جديدة ، ولانت بعض القلوب القاسية ، وتأثر الناس بحادث الهجرة ، وخيبة أمل قريش في عزمها على قتل صاحب الدعوة ، وملازمة الرعاية الالهية له حتى وصل المدينة. وجعل عبد الله يقص على الناس أنباء الهجرة الرائعة ، وأحداثهــا المؤثــرة ، خصوصاً إيواء رسول الله ﷺ وصاحبه إلى الغار وصرف قريش عنهما بعد أن وصلوا إلى فم الغار ، وكانت هذه الأنباء قد ذاعت في جزيرة العرب وتناقلها الرواة .

ثم كانت معركة بدر في السنة الثانية من هجرة النبي ﷺ ،وأنزل الله نصره المبين على نبيه ، وهزم قريشاً وأخزاها،

وطارت أخبار هذه المعركة في دنيا العرب ، وعلمها القاصي والداني ، وعزّ جانب المؤمنين ، وقويت شوكة أولئك النفر القليل من الأشعريين ، وتحدّثوا بأمر الهجرة إلى رسول الله ﷺ ، لكن صرفهم عنهاأن أصحابه الذين في الحبشة لايزالون فيها ، وأيقنوا أن وقت الهجرة لم يحن بَعْدُ .

ومضت بضع سنين وهزم الله قريشاً مرة أخرى ، وهزم معها أحزاباً من الكفرة ويهود في غزوة الخندق ، وكان لنتائجها وقع جميل في قلوب المؤمنين قريب من وقع معركة بدر . ثم تحدث الرواة أن النبي ﷺ قد سار بألف وأربعمائة من أصحابه في السنة التالية لغزوة الخندق يريد العمرة ، وأيقن عبد الله بن قيس أن النبي عليه الصلاة والسلام قد أصبح له من القوة ما يغزو معها قريشاً في عقر دارها ، وأنها ستخضع له عما قريب .

وضاعف عبد الله نشاطه في الدعوة ، وفتح الله القلوب لدعوته ، فدخلتْ بيوتاً عديدة للأشعريين ، وأسلم رجال ونساء منهم ، وبدأ عددهم يزداد بين حين وآخر ، وأقبل عليهم عبد الله ، يعلمهم حقيقة الاسلام ويقرئهم القرآن ، ويعلمهم الصلاة ، فتعلموها منه ، وأدّوها ، وحمدوا الله أن هداهم لدينه . وفي هذه الأثناء تزوج عبد الله ، وتكنى بأبي موسى ، رجاء أن يرزق بولد يسميه بهذا الاسم ، واشتهر بين اخوانه بهذه الكنية فأصبحوا ينادونه بها .

# - ٣ -

نحن الآن في بداية السنة السابعة لهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، لقد قويت شوكة المسلمين في المدينة ، وأصبحت لهم دولة تهابها قبائل العرب جميعاً وعلى رأسها قريش ، ويحسبون لها حساباً ، واعتقد أبو موسى الأشعري أنه قد آن الأوان للهجرة ، فقد زاد عدد من آمن من قومه على خمسين رجلاً عدا نسائهم وأولادهم ، فلماذا لا يهاجر هو وإخوانه إلى المدينة ، ويعزّزون قوة الإسلام فيها ، ويتفقهون في الدين ، ويسعدون بصحبة النبي ﷺ ؟!

واستشار أبو موسى عمه أبا عامر وأخويه وبقية إخوانه، فاجتمع أمر الجميع على الهجرة ، وأخذ هؤلاء المؤمنون يستعدون لهذا الأمر العظيم ويأخذون له أهبته .

وجاء صباح يوم استيقظت فيه قبيلة الأشعريين على منظر عظيم التأثير : خمسون رجلاً أو يزيدون ومعهم نساؤهم وأولادهم يغادرون وطنهم ، وينخلعون منه ؛ ويبدأون هجرة إلى بلاد غريبة ، من أجل دينهم الذي آمنوا به !! وذرفت الدموع ، وسالت المآقي ، وخفقت القلوب ، وانطلق المهاجرون بعد أن ودعوا من بقي من قومهم ، وتمنوا لهم هجرة كهجرتهم .

ووصل المهاجرون إلى ساحل البحر ، فاستأجروا سفينة لتنقلهم إلى بلاد الحجاز ، وأووا إليها ، وانطلقت ألسنتهم تدعو الله أن يصحبهم في سفرهم ، وأن يحفظهم ، ويبلّغهم نبيهم عليه الصلاة والسلام .

ومدّ ملاحو السفينة أشرعتها ، فانطلقت بركّابها ، وبدأ المهاجرون إلى الله ورسوله رحلتهم على متن البحر ، واستبشروا خيراً ، فقد كانت الريح رخاءً تدفع سفينتهم برفق وكأنها تداعبها ، ومشت السفينة تتهادى على وجه الماء ، ثم غابت عن العيون مناظر الأرض والجبال ، وأصبح من في السفينة لا يرون إلا زرقة السماء فوقهم ومياه البحر تحتهم .

ومضت ساعات والمهاجرون في أطيب حال ، وآمالهم الجميلة بالوصول إلى النبي ﷺ والعيش إلى جانبه تملأ عليهم كيانهم ، وسعدوا مساء يومهم برؤية قرص الشمس الأحمر ، الذي بدأ وكأنه احترق في تنور ، سعدوا برؤيته وهو يغيب عن العيون شيئاً فشيئاً ، وتبتلعه مياه اليم ، وبدأت خيوط الظلام تنتشر ، ثم عمت الكون كله ، وتعلقت العيون بالسماء ، تنظر إلى النجوم وكأنها مصابيح براقة معلقة ، تبعث النور من بعيد ، ومضت ساعة وساعتان من الليل ، ونام من نام ، وبقي من بقي يرقب النجوم ، أو يسمر على ظهر السفينة .

## - ٤ -

كانت السفينة تسير بالمهاجرين وكأنهم يمشون على أرض سهلة منبسطة ، فهم لا يشعرون بأي ازعاج يكدر صفوهم ، واستلم قيادتها ملاح جديد في بداية الليل ، وأخلد معظم من فيها إلى النوم ، ولم يبق إلا نفر قليل أوَوا إلى أبي موسى ، الذي أخذ يقرأ لهم آيات من القرآن الكريم بصوته الجميل ، وأخذهم سحر القرآن وجمال صوته ، وشعروا وكأنما الكون كله يشاركهم تلك السعادة التي كانوا فيها .

انقضى ثلث الليل الأول والريح رُخاء ، والسفينة تسير بهم بهدوء ، وفجأة تغير كل شيء ، فقد هبت ريح زعزع عاتية ، وبدأت تزأر زئيراً مخيفاً ، وهاج البحر وماج ، واضطربت أمواجه العظام ، وتلبّدت السماء بالغيوم الداكنة ، فحجبت بصيص النجوم وضياءها ، وانهمرت الأمطار غزيرة ، وأفاق جميع ركاب السفينة على الخطر المهول الذي أحاق بهم ، وأخذت الأمواج تتقاذف السفينة إلى كل اتجاه ، تعلو بها وتهبط ، وتهزها هزاً عنيفاً .

وذعر جميع ركاب السفينة ، حتى ملاحوها الذين ألفوا مثل هذه الأمور ، فقد شاهدوا في تلك الليلة شيئاً لم يشاهدوه من قبل ، وتعاونوا جميعاً على الحيلولة دون غرقهم

وسفينتهم ، ولجأ المهاجرون إلى الله سبحانه ،وتوجهوا إليه بقلوبهم ، ورجوه أن ينجيهم من الغرق ، وألا يحرمهم رؤية نبيهم ﷺ وصحبته .

ومضت على السفينة ساعات رهيبة ، وتعاون ملاحوها الثلاثة على السيطرة عليها ، وأعانهم على ذلك بعض ركابها لكن أمواج البحر كانت عاتية شديدة ، والرياح قوية عاصفة ، والظلام دامس ، واعتقدوا أنهم قد أحيط بهم ، بيد أنهم قد تجلدوا أمام هذا الهول الذي هم فيه ، وبذلوا أقصى ما عندهم من عزيمة ورباطة جأش ، فكان لذلك وقعه في نفوس بقية الركاب الذين لم يروا مثل هذا الخطر في حياتهم كلها ولا مايدانيه .

وكان أبو موسى في تلك الليلة الرهيبة هادىء الأعصاب ، متماسك الشخصية ، شديد الثقة بالنجاة ، يقول لإخوانه : نحن المهاجرون إلى الله ورسوله ، فنحن في ذمة الله تبارك وتعالى ، ولن يضيّعنا . وضرب أبو موسى يومها مثلاً رائعاً لملاحي السفينة ، فأدهشهم يقينه الراسخ ، وأمله العظيم ، وإيمانه العميق .

وأوشكت الساعات الرهيبة أن تنتهي ، فبدأت أمواج البحر تهدأ شيئاً فشيئاً ، وسكنت الريح ، وانقشعت الغيوم ، وتوقف المطر ، وأشرق ضياء الفجر ، ثم لم تلبث الشمس

أن بزغت وعمّ ضياؤها البحر ، ونجا أهل السفينة من الغرق ، فحمدوا الله على ذلك كثيراً ، وابتهجت نفوسهم بالبشرى، ثم ظهر لهم الساحل قريباً ، فاتجه الملاحون بسفينتهم إليه ، وهم لا يدرون أين هم ، وحينما وصلوا إلى الساحل كانت دهشتهم كبيرة ، فهم الآن على ساحل بلاد الحبشة ، وقد ابتعدوا كثيراً عن ساحل بلاد العرب .

— ٥ —

وقف ملاحو السفينة بسفينتهم بجانب الشاطىء ، وأرخوا الأشرعة ، ثم دقوا الأوتاد في أرض الساحل ، وربطوا سفينتهم بالحبال ، ونزل الأشعريون جميعاً إلى الساحل ، فنعموا بقسط من النوم ، بعد تلك الليلة الرهيبة، واستراحت أجسامهم ، واطمأنت قلوبهم ، وعزموا على أن يقضوا يومهم وليلتهم على ذلك الشاطىء ، ثم يستأنفوا سفرهم صباح يوم غدٍ .

وفي عصر ذلك اليوم فوجىء الأشعريون بأنه يقيم قريباً منهم إخوانهم المهاجرون من مكة المكرمة من سنين عديدة ، وجاء أحدهم يخبر أبا موسى بخبر المكيين ، فقال لإخوانه : إنهم إذاً أصحاب رسول الله : ابن عمه جعفر وإخوانه ، وقد حدثني عنهم رسول الله ﷺ وحكى لي قصة هجرتهم .

وقام أبو موسى لتوه برفقة عمه أبي عامر وبعض إخوانه، وراحوا إلى منازل اخوانهم في الدين ، فرحب بهم سابقوهم في الهجرة أعظم ترحيب ، وجلس أبو موسى فقص على اخوانه من أهل مكة قصة اسلامه واسلام قومه ، وقصة هجرتهم وما جرى لهم في ليلتهم .

وتكلم جعفر فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلّى على النبي ﷺ ، ثم أبدى سروره بنجاة اخوانه الأشعريين وقال لهم : ان الله تعالى هو الذي جاء بكم إلينا بعدما لقيتم في ذاته من الأهوال ما لقيتم ، حتى نتعرف عليكم ونقوى بكم وتقووا بنا ، فأقيموا عندنا قليلاً ، وسوف نرتحل جميعاً إلى رسول الله ﷺ ، فقد أرسل إلينا يطلبنا ، ونحن عازمون على العودة عما قريب إن شاء الله تعالى ، ونحن هنا في أمن وطمأنينة .

ووافق أبو موسى ومن معه على المقام بين إخوانهم ، وأخبروا اخوانهم بذلك فرضوا هم أيضاً ، ودفعوا لأصحاب السفينة الأجر الذي اشترطوه تاماً ، وبقي الأشعريون ما يزيد على الشهر على شاطىء البحر ، وأكرمهم اخوانهم المكيّون ، وبذلوا لهم واختلطوا بهم ، وتوثقت عرى المحبة والاخوة بين الجميع ، وألف الايمان بين قلوبهم .

وسمع الأشعريون من اخوانهم المكيين قصة هجرتهم التي تمت من خمس عشرة سنة إلى هذه البلاد الغريبة البعيدة، وقصّوا عليهم مالقوا من أهوال في مكة ، وما أصابهم هنا بسبب ملاحقة أهل مكة لهم ، وكان لتلك الأحاديث وقعها البليغ على قلوب الأشعريين ، وكان لقاء جميلاً ، تمثلت فيه أخوة الإيمان ، بين ناس من اليمن وناس من الحجاز ، فرقهم الموطن والنسب ، وجمعهم الايمان واليقين .

## - ٦ -

انطلق ركب الايمان من بلاد الحبشة ، وامتطوا متن البحر على سفينتين : سفينة تحمل الأشعريين الذين استأنفوا هجرتهم إلى الله ورسوله ، وسفينة تحمل المكيِّين الذين عادوا إلى رسول الله بعد غَيْبة طويلة ، وقضى أهل السفينتين أياماً في البحر ، ثم نزلوا على الساحل قريباً من مكان يقال له : الأبواء ، ثم اتجهوا بقلوبهم إلى مدينة النبي ﷺ ، وتاقت أرواحهم للوصول إليها .

كان فرح الجميع عظيماً وبهجتهم لا توصف، فهم سيلقون رسول الله قريباً ويسعدون برؤيته والعيش بجواره ، ولم يكن الأشعريون أقل فرحاً من المكيين ، ولا أخف شوقاً إلى

النبي ﷺ ، وحينما اقتربوا من المدينة المنورة ، وأطل عليهم جبل أحد جعلوا ينشدون :

غداً نلقى الأحبّهْ محمداً وحزبهْ

واخذوا يعيدون هذا النشيد الجميل ويرفعون به أصواتهم .

واستقبل أهل المدينة الوافدين ، وفرحوا بهم ، وشعر الوافدون بقلة عدد الرجال وكثرة الغلمان ، وسارعوا فسألوا عن رسول الله ﷺ ، فأخبروهم انه في خيبر يفتتح حصونها ، ويؤدب اليهود الذين أرادوا أخذ المدينة على غِرّة . وأحزن هذا الخبرُ الوافدين ، ودخلوا المدينة وقد بردت عواطفهم ، وغاض شيء من السرور عن وجوههم ، ثم استقبلهم في المدينة سِباع بن عُرْفطة ، وكان النبي ﷺ قد استخلفه عليها ، فاستأذنوه في اللحاق بالنبي ، فأذن لهم وزودهم ببعض الزاد وحملهم على بعض الدواب .

استأنف المهاجرون سفراً جديداً قاسياً ، وواصلوا سفر البحر بسفر البر واتجهوا شمالاً إلى خيبر ، وأمضوا في سفرهم أياماً ، ولما دَنوا من خيبر خفقت قلوبهم ، وخالطت نفوسهم البشاشة ، وسرى الفرح في جوانحهم ؛ فهم بعد قليل سيمثلون بين يدي أحب الخلق إليهم ، وسيملؤون عيونهم من النظر إليه ، ويصافحونه ، ويتباركون به .

وأخبر النبي ﷺ بالوفد القادم عليه ، ففرح به .

وكان النبي ﷺ قد هتف به أن وفداً من الأشعريين قادم عليك ، فقال لأصحابه : ( يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً ) . وقدم هؤلاء فسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدمهم ، وتذكر ساعتها ذلك الشاب النبيه « عبد الله ابن قيس » وعمه الشاب « أبا عامر » تذكر لقاءه بهما في مكة، وكيف تلقيا منه الإيمان والقرآن ، وسره دعوتهما إلى الله في قومهما الأشعريين ، واسلام عدد من الناس على أيديهما .

وأسرع أبو موسى وجماعته ـ وكان قد سبق جعفراً بقليل ـ فأقبل على رسول الله ﷺ يحتضنه ويقبله من جبهته ثم يصافحه ، وأقبل أبو عامر وبقية الأشعريين يحتضنون النبي ويصافحونه ، ويشهدون أمامه شهادة الحق ، ويبايعونه على الإسلام، وسروا جميعاً بلقائهم النبي ﷺ، ورأوا أن جماله وكماله أعظم مما وصف لهم ، وحمد النبي ﷺ الله على أن هداهم للاسلام وأنعم عليهم بنعمة الايمان ، وأثنى عليهم خيراً، وأبدى عن سروره لهجرتهم .

وبعد قليل قدم جعفر ومهاجرة الحبشة ، فتضاعف سروره عليه الصلاة والسلام وسرور أصحابه ، وقام إلى جعفر فاعتنقه وقبّله بين عينيه وقال :

« والله ما أدري بأيهما أنا أسَرُّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

وتمت للمسلمين جميعاً فرحة كبرى في أعقاب هذا الفتح ، واجتمعت لهم أمور كلها تبعث على السرور : الفتح العظيم ، وقدوم وفد دَوْس مهاجراً يقدمهم الطفيل بن عمرو وأبو هريرة ، وقدوم وفد الأشعريين يقدمهم أبو موسى وعمه أبو عامر ، ثم رجوع مهاجرة الحبشة بعد غيبة طويلة ، يقدمهم جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ .

## - ٧ -

قدم الأشعريون على رسول الله ﷺ بعد أن انتهى من فتح خيبر وقبل أن يقسم الغنائم ، وأحب النبي إكرامهم وإدخال السرور على قلوبهم ، فقسم لهم من الغنيمة ، وشكروا له صنيعه ، وأحبهم رسول الله ﷺ لما وجد فيهم من عظيم الإيمان وحسن الشمائل ، وقال عنهم على مسمع من أصحابه :

« الأشعريون في الناس كصرة فيها مسك » .

وجلس أبو موسى إلى جوار النبي ، فهشّ له ﷺ ، وأخبره أنه لاينسى قدومه عليه في مكة ، فسر أبو موسى ، ثم أبدى حزنه على ما فاته من الجهاد في بدر وأحد والخندق

وخيبر وغيرها ، فأخبره النبي ﷺ أن هناك جهاداً طويلاً ينتظره وينتظر سائر أصحابه،وسعد أبو موسى بهذه البشارة وتلقاها من النبي عليه الصلاة والسلام والسرور يطفح على وجهه .

وأتم رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر تأديب يهود فَدَك ووادي القرى وتَيماء ، وقفل راجعاً مع أصحابه إلى المدينة، وحرص أبو موسى أن يكون قريباً من النبي عليه الصلاة والسلام وهم في مسيرهم . وأحاط الأصحاب بالنبي من كل جانب ، وأخذوا كلما ارتقوا أكمة يرفعون أصواتهم ، فيقولون: الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، وتكرر ذلك منهم ، فالتفت إليهم رسولهم ومعلّمهم صلوات الله وسلامه عليه وقال :

« يا أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم (١) ، إنكم ليس تدعون أصمّ ولا غائباً . إنكم تدعون سميعاً بصيراً ، وهو معكم » .

واستجاب الصحب رضي الله عنهم لأمر نبيهم ﷺ ، فخفضوا من أصواتهم على الفور ، وسر النبي بهذه الطاعة ، ولفت نظره عليه السلام أن رجلاً خلفه يقول : « لا حول ولا

---

(١) أربعوا على أنفسكم : ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم .

قوة إلا بالله » ويكررهـا ، فالتفت إليه ، فإذا به أبو موسى الأشعري ، وأراد عليه الصلاة والسلام أن يعرّفه بقيمة هذه الكلمة التي يرددها ، فقـال له : « يا عبد الله بن قيس ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ » وأجاب أبو موسى : بلى يا رسول الله ، فقال : « قل لا حول ولا قوة إلا بالله » وفرح أبو موسى بهذا العلم الذي كان أول ما تعلمه من النبي بعـد هجرته ، وعرف قيمة هذه الكلمة الطيبة ، وعزم على الاكثار من تردادها .

- ٨ -

عاد النبي ﷺ بأصحابه إلى المدينة ، وسُرّ أهلها بعودتهم منصورين مظفّرين ، وانضاف إلى الجماعة المؤمنة في المدينة اخوان لهم من بـلاد اليمن : أشعريون ودوسيون ، وسُـرّ المهاجرون خاصة بعودة إخوانهم من بلاد الحبشة، وأخذ جعفر مكانه في كبار أصحاب النبي ﷺ ، وكبت الله أعداء دينه من اليهود والمنافقين ، وتطلع المؤمنون لنصر جديد يجريه الله على أيديهم .

ولا تسل عن سرور المهاجرين أصحـاب السفينتين : المكيين الذين كانوا في الحبشة ، والأشعريين الذين قدمـوا صحبتهم ـ فقد كان بالغاً عارماً ، لقد أحسوا أن الدنيا لم تعد تسعهم : فالمكيون كانوا قد تركوا رسول الله في مكة وقريش

جريئة عليه تؤذيه وتؤذي أصحابه ، وتصد عن الدعوة إلى الله ، وعاشوا بعيدين عن وطنهم قريباً من خمسة عشر عاماً ، وركبوا الأهوال في ذهابهم وإيابهم ، وها هم الآن يعودون سالمين ، ويرون نبيهم ﷺ وقد أظهره الله على أعدائه ، ونَصَر دينه .

والأشعريون قد خرجوا من بلادهم يقصدون النبي عليه الصلاة والسلام ، وقلوبهم تطفح بأحلى الأماني ، ثم أتت عليهم ليلة هوجاء في البحر ، كادت تقضي عليهم وعلى آمالهم ، وتجعلهم طعمة لأسماك البحر ، ثم قدّر لهم أن يتأخروا عن الوصول إلى النبي ﷺ بسبب مقامهم مع إخوانهم في الحبشة، ثم غامروا ثانية بركوب البحر ، ووصلوا إلى المدينة ولم يحظوا به عليه الصلاة والسلام ، ثم خرجوا على أثره إلى خيبر ، فوصلوا إليه ، وطابت نفوسهم بلقائه ، وأحسن هو استقبالهم ومنحهم محبته ، وامتدحهم ، وأكرمهم فأعطاهم من الغنيمة، وها هم الآن قد وصلوا إلى مدينته الطيبة بصحبته ، وها هم أولاء يتمتعون برؤية وجهه الشريف ، ويسمعون كلامه ، ويعيشون إلى جنبه !!

كان سرور الأشعريين كبيراً ، وكان أشدهم سروراً أبو موسى وعمه أبو عامر خاصة بعد أن تناقل الناس أن النبي عليه الصلاة والسلام امتدح أهل السفينتين وأثنى على هجرتهم

خيراً ، وأنه قال ذلك لأسماء بنت عُمَيس زوج جعفر بن أبي طالب . وبدأ أهل السفينة يذهبون أرسالاً إلى أسماء يسألونها عن كلمة النبي فيهم فتحكيها لهم ويعودون بالسرور .

وخفّ أبو موسى إلى أسماء ، وطلب إليها أن تروي له حكاية قوله عليه الصلاة والسلام في أهل السفينة بتفصيل تام ، وأكد عليها في ذلك ، فاستجابت وجلست تحدثه ومن معه فقالت :

« ذهبتُ أمس الأول إلى حفصة بنت عمر زوج رسول الله ﷺ أزورها ، فبينا أنا هناك إذ دخل أبوها عمر ، فسلم وجلس ، وسمع صوتي عندها ، فقال مداعباً : الحبشية هذه ، البحرية هذه ؟ فقلت : نعم ، وجعل يسألني عن هجرتنا إلى الحبشة ومقامنا فيها ، وجعلت أجيبه ، ثم قال لي: « نحن سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحقُّ برسول الله ﷺ منكم » وغضبتُ لكلمة عمر ، ورددتها عليه ، وأغلظت له الكلام ، ثم قلت : « كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنّا في أرض البعداء البغضاء (١) في الحبشة ، وذلك في الله وفي رسوله » .

---

(١) تريد السيدة أسماء : البعداء في النسب ، البغضاء في الدين لكفرهم إلا النجاشي ، فقد كان يستخفي بإسلامه عن قومه ، ويورّي لهم .

وتبسم عمر لقولي ، ولم يردّ علي شيئاً بعد الذي سمع مني .

ثم قلت له : « وايمُ الله ، لا أطعم طعاماً ، ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ . ونحن كنا نؤذَى ونُخاف ، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ، ووالله لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك » .

كانت السيدة تتكلم وأبو موسى يصغي إليها إصغاءً تاماً ، ولا يدع كلمة تفوته ، وحين وصلت في حديثها إلى هذا الحدّ بادرها مستعجلاً للحديث : ثم ماذا كان ؟ وأدركت هي لهفته إلى تمام القصة وسماع كلمة النبي ﷺ ، فتابعت حديثها قائلة :

وقام عمر من عند حفصة ، ثم دخل رسول الله ﷺ بعد قليل ، فسلّم وجلس ، فقلت له وأنا حزينة لما سمعت من عمر : يا رسول الله ، إن عمر قال لي : « نحن سبقناكم بالهجرة إلى رسول الله ، فنحن أحق برسول الله منكم » أصحيح ما قال عمر يا نبي الله ؟!

وأجابني النبي على الفور : « ليس بأحقّ بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان !! » فطابت نفسي ، وسكن قلبي ، وعمني السرور .

وفرح أبو موسى بما سمع ، وشكر السيدة أسماء ، وقام ومن معه « وما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ » ورجع إلى إخوانه الأشعريين فحدثهم بما سمع، ففرحوا جميعاً وطابت نفوسهم.

أما أبو موسى فلم يشفِ غلّته سماع هذه الحكاية مرة واحدة ، فلقد سعى إلى أسماء بضع مرات ، يصحب كل مرة عدداً من الأشعريين ، يستعيدها حديثها ، بحجة أن من معه لم يسمعه منها ، فكان ـ رحمه الله ـ كلما سمعه طابت نفسه وازداد سروره (١) .

* * *

---

(١) أخرج حديث أسماء هـذا البخاري ومسلم ، وقد نقلته عن صحيح مسلم ، وحصرت روايته بين قوسين ، وفي نهاية الرواية تقول أسماء :

« فلقد رأيت أبا موسى ، وإنه ليستعيد هذا الحديث مني » .



# في صحبة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

## - ١ -

نزل أبو موسى مع قومه الأشعريين في وادي بُطحَان (١) في جنوب المدينة المنورة ، وأخذ هو وقومه يترددون على النبي ﷺ فيقرأون كتاب الله ، ويتفقهون في الدين ، وكان أبو موسى أكثرهم ملازمة له ، وتردداً عليه ، بل وحباً وشغفاً به . . كان شاباً في شَرْخ شبابه ، هاجر إلى النبي ﷺ وله من العمر خمس وعشرون سنة ، وكان قد أسلم في مكة قبل الهجرة بسنتين ، وله من العمر آنذاك سبعة عشر عاماً .

ولقد رزق أبو موسى مواهب جمة : فهو ذكي الفؤاد ، قوي الذاكرة ، كبير الفهم سريعه ، قوي العاطفة ، صافي السريرة ، صادق اللهجة ، يكره النفاق كرهاً عظيماً ، ويحب الصدق أبلغ الحب ، إلى جانب جرأة في قول الحق ، وشجاعة أمام الشدائد ، وبطولة أمام الأعداء .

---

(١) ويقال له : بقيع بطحان .

وقد انتفع بمواهبه هذه أعظم الانتفاع في صحبته للنبي ﷺ ، وأفاد منها فوائد هامة ، كما أخذ عنه مزايا جديدة كملت شخصيته ، ورفعت من قيمته ، فقد اكتسب منه تقوى الله وخشيته في السر والعلن ، والحياء الشديد من الله تعالى ، والاقبال العظيم على العبادة ، والعناية الكبيرة بالقرآن الكريم وتلاوته ، والفقه العظيم بالدين وأحكامه وتشريعاته ، وقوة الشخصية واستقلالها .

وأقبل أبو موسى بتلك المواهب على النبي ﷺ ،يتعلم منه ويتفقه في دين الله ، يحدوه إلى ذلك اجتهاد عظيم وشغف كبير ، وانضم في ذلك إلى جملة من أبرز تلاميذه عليه الصلاة والسلام الذين أكثروا ملازمته والأخذ عنه ـ انضم إلى أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر بن عبد الله ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عمرو وغيرهم .

وكان من أوائل ما سمعه من النبي ﷺ وحفظه عنه قوله:

« مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية" قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل

من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله تعالى به ، فعَلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

ودهش أبو موسى لروعة أسلوب النبي في التعليم ولضربه الأمثال وتقريبه الأفكار إلى الأذهان . ونفعه الله بهذا الحديث نفعاً كبيراً ، فقد عزم من ساعته أن يجتهد اجتهاداً كبيراً ليكون من الصنف الأول من الناس الذين ضرب لهم رسول الله مثلاً بالأرض الطيبة التي تمتص الماء وتنبت الكلأ والعشب ، وذلك حتى ينال الأجر العظيم . وازدادت رغبته في طلب العلم بعد سماعه هذا الكلام النبوي البليغ وهذا الترغيب الرائع في العلم، فأقبل على النبي ﷺ يصغي إلى كلماته ويحفظها ، ويستزيد منها كل يوم شيئاً جديداً .

ورزق أول مقدمه المدينة بمولود ذكر ، ففرح به ، وحمله إلى النبي ﷺ ليمسح على رأسه ويحنكه ــ وكان هذا شيئاً محبباً إلى سائر الأصحاب ــ ودخل أبو موسى بولده على النبي ، وقال : يا رسول الله رزقت بهذا المولود ، فأخذه منه ومسح على رأسه ، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم دَلَك حنك الصغير بها ، فجعل يتلمظ بها ، فتبسم عند ذلك النبي ودعا له ، وأمر أبا موسى أن يسميه إبراهيم ، فلم يراجعه أبو موسى في ذلك رغم أنه كان قد سمّاه «موسى» وعاد إلى بيته،

وأخبر أهله بصنيع النبي به ، ثم قال لهم : إن رسول الله قد سمّاه إبراهيم ، ولم أراجعه في ذلك ، فقال الجميع : هو ابراهيم كما سماه رسول الله .

- ٢ -

أقبل أبو موسى على مجالس رسول الله ﷺ التي كان يعقدها لتعليم أصحابه ، وحرص ألا تفوته صلاة خلفه ، خصوصاً صلاتي الفجر والعشاء ، فكان دائب الحضور لهما ، حريصاً على حفظ كلماته ﷺ التي يعلمها لأصحابه بعد صلاة الفجر من كل يوم .

ولم يمضِ عليه أسبوع حتى حفظ هذه الأحاديث النبوية المرغبة في تلاوة القرآن والعناية به ، وتعاهده وتحسين الصوت به ، والتي سمعها جميعاً من النبي بعد صلاة الفجر :

« اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

« يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجّان عن صاحبهما » .

« خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » .

« إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » .

« لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

« مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب . ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن كمثل التمرة : لا ريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة : ليس لها ريح وطعمها مر » .

« تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده ، لهو أشد تفلتاً من الابل في عقلها » .

« ما أذن الله لشيءٍ ، ما أذن لنبي حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن ، يجهر به » .

ولفت نظر أبي موسى تكرار ترغيبه عليه الصلاة والسلام بتلاوة القرآن والعناية بها ، واعتقد يومها أنه يريد بكلامه أصحابه عامة ويريده هو وإخوانه الأشعريين خاصة ، وأقبل على القرآن الكريم يأخذه من النبي ﷺ ومن قرّاء الصحابة ، واجتهد في ذلك اجتهاداً جيداً ، فلم يمضِ عليه كبير وقت حتى حفظ عدداً كبيراً من السور ، وأخذ يتلوها تلاوة صحيحة ،

ويؤديها أداء جيداً ، وصار يقرىء اخوانه الأشعريين في منازلهم فحفظوا هم أيضاً عدداً من السور ، وجعلوا يتلونها في منازلهم في وادي بطحان ، وسرّ النبي ﷺ لصنيعهم ، ودعا لهم .

- ٣ -

شاع في المدينة المنوّرة أن أبا موسى الأشعري يملك صوتاً جميلاً أخاذاً ، وأن أحداً من أصحاب النبي لا يباريه في هذا الأمر ، وأنه إذا قرأ القرآن تنزّلت السكينة على قلوب مستمعيه ، وامتزجت حلاوة القرآن بأرواحهم ، وبكل ذرة من اجسامهم ، وأحسوا بَرْد الايمان واليقين يسري في كيانهم .

وأخذ اخوانه من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يقبلون على الاستماع إليه ، ويتشوقون لذلك مرة بعد أخرى ، وصار عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلما رآه يقول له: «شوّقنا إلى ربنا يا أبا موسى» فيجلس أبو موسى فيتلو ويجلس عمر إلى جنبه خاشعاً ، ويأوي إليهما الناس يستمعون .

ولم يكن رسول الله ﷺ أقل من أصحابه رغبة في الاستماع إلى هذا الشاب الأشعري الحسن الصوت ، التقي الخاشع ، فقد استمع إليه مراراً ، وسره حسن صوته ، وخشوعه وخضوعه ، وامتدحه في ذلك أبلغ المديح .

فقد جلس عليه الصلاة والسلام على باب حجرته يوماً، واستمع إلى أبي موسى وهو يقوم الليل بالقرآن الكريم في المسجد النبوي ، وأعجب بصوته أيما اعجاب ، وعبر لأبي موسى في غده عن سروره فقال له :

« لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ! لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » ثم أعلن هذا المديح أمام أصحابه فقال لهم : « إن عبد الله بن قيس أعطي مزماراً من مزامير آل داود » .

ومرّ النبي ﷺ مرة هو والسيدة عائشة بأبي موسى وهو يقرأ في بيته ، فوقفا يستمعان لقراءته ساعة ، ثم مضيا ، وفي الصباح لقي أبو موسى رسول الله ﷺ فقال له : « يا أبا موسى ، مررت بك البارحة ومعي عائشة، وأنت تقرأ في بيتك، فقمنا فاستمعنا » فقال أبو موسى : « أما إني يا رسول الله لو علمتُ ، لحبّرته لك تحبيراً » (١) .

وجاء رجل يوماً إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ألا أعجّبك من أبي موسى ؟! قعد في بيتٍ ، واجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن ، فقال رسول الله ﷺ : أتستطيع

---

(١) يريد : تحسين الصوت وتحزينه .

أن تقعدني حيث لايراني أحد منهم ، قال : نعم ، فخرج رسول الله ﷺ فأقعده الرجل حيث لايراه أحد ، فسمع قراءة أبي موسى ، فقال : « إنه يقرأ على مزمارٍ من مزامير آل داود » .

وكان أبو موسى يحب أن يتلو القرآن في مسجد النبي ﷺ ، ويتحين لذلك أحسن الأوقات مناسبة للخشوع ، فكان يقرؤه في جوف الليل فيتهجد به ، ويقرؤه أحياناً بعد صلاة المغرب وهو في انتظار صلاة العشاء ، فيسري صوته الجميل ، ويصل إلى أسماع الناس ويؤثر فيهم تأثيراً عجيباً .

وخرج بُرَيدة بن الحصيب يوماً من بيته يريد أن يصلّي العشاء في المسجد النبوي ، فلقي النبي في الطريق ، فأخذ بيده ، واتجها إلى المسجد ، فدخلاه ، فإذا برجل يقرأ القرآن بصوت جميل جاهراً به ، وخشي النبي على صاحبه أن يتهمه الناس بالرياء ، فقال لبريدة : « تراه يرائي » ! فقال بريدة : أتقول هو مراء يا رسول الله ؟ فقال النبي ﷺ : « لا ، بل هو مؤمن منيب ، لا ، بل هو مؤمن منيب » .

وعلم بريدة ساعتها مَنْ هذا الرجل ، فقد سمع النبي ﷺ يقول : « إن عبد الله بن قيس أعطي مزماراً من مزامير آل داود » ، وقال بريدة : ألا أخبره يا رسول الله ؟ فقال : « بلى

فأخبره » وأقبل بريدة بعد صلاة العشاء على أبي موسى ، فبشره بمقالة النبي ﷺ فيه ، فشكره على ذلك وقال له : أنت لي صديق ، أخبرتني عن رسول الله ﷺ بحديث .

وبلغ من حسن صوت أبي موسى أنه يوقظ النائمين من نومهم، فيهجرون منامهم، ويجلسون ينصتون إليه، حدث هذا مع عدد من أزواج النبي ﷺ ، فقد قمن يستمعن إليه في يوم من جوف الليل حتى كف عن التلاوة ، وحين جاء من يخبره بذلك في الصباح قال :

« لو علمت لحبرته لهنّ تحبيراً » .

- ٤ -

أقام أبو موسى بضعة أشهر في مدينة النبي ﷺ ، ولا همّ له إلا طلب العلم وأخذ القرآن ، واجتهد في ذلك اجتهاداً عظيماً ، ونفعه الله باجتهاده نفعاً كبيراً ، فحفظ الكثير من سور القرآن ، وحفظ عشرات الأحاديث ، وتعلم الكثير من آداب الاسلام وشرائعه .

بيد أن أبا موسى كان يتوق إلى الجهاد في سبيل الله، فقد كان حزيناً لما فاته من المشاهد التي كانت قبل هجرته ، ولقد سمع النبي ﷺ يمتدح الجهاد ويذكر له ثواباً عظيماً ،كما سمع عن بطولات الصحابة في الأيام التي خلَت ، وألمّ بقصص أولئك

الشهداء الأبرار الذين لم يكتب له رؤيتهم في الحياة الدنيا ، وعجب لبطولة حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ولبطولة أنس بن النضر وسعد بن الربيع وغيرهم .

وقرأ قول الله تعالى في أولئك الشهداء : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين » وتاقت نفسه لمنزلة الشهداء ، ورغب أشد الرغبة في الجهاد .

وجاء اليوم الذي كان ينتظره أبو موسى ، جاء يوم الجهاد ، وأمر النبي أصحابه بالتجهز للخروج قِبَل نجد ، وحمل أمرَ النبي لقومه الأشعريين ، فنفر أكثرهم ، وحملوا أسلحتهم وجاؤوا إلى المدينة يتقدمهم أبو موسى ، وعمه أبو عامر .

وخرج مع النبي ﷺ إلى ذلك الوجه عدد كبير من المجاهدين ، ولم يجد ما يحملهم عليه من الدواب ، فجعل لكل بضعة أشخاص دابة يركبونها ويتعاقبون على ركوبها ، وكان نصيب أبي موسى مع خمسة من إخوانه بعير واحد يعتقبون ركوبه ، فيركبه اثنان ويمشي الأربعة ، ثم اثنان

آخران وهكذا . وواسى النبي ﷺ أصحابه بنفسه ، فمشى هو الآخر ، وأعطاهم درساً بليغاً في الرحمة والنبل والتضحية والمواساة ، فطابت نفوسهم ، وتحملوا المشاق وهم راضون فرحـــون .

وأتى المشي الطويل على نعال الصحابة فأتلفها ، واضطروا للمشي حفاة ، وأصابتهم القروح ، وبلغت بهم المشقة مبلغها ، « ونقبت قدما أبي موسى ، وسقطت أظافره » واضطر عدد من الصحابة أن يلفوا الخِرَق على أرجلهم ليقوها مزيداً من القروح وليستطيعوا متابعة المشي (١) .

---

(١) سميت هذه الغزوة بذات الرقاع لهذا الأمر ، وقد ورد ذكرها في صحيح البخاري ومسلم . هذا وجمهور أهل السِيَر يذكرون أن هذه الغزوة حصلت قبل الخندق ، أي قبل هجرة أبي موسى بأكثر من سنتين ، لكن الحافظ ابن حجر يذكر في فتح الباري أنهم مختلفون في زمانها ، ويقول : الأولى الاعتماد على ما جاء في الحديث الصحيح ـ أي حديث أبي موسى الذي في البخاري ومسلم والذي يفهم منه حضوره لتلك الغزوة ـ فمعنى ذلك أنها وقعت بعد خيبر . هذا وقد تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين كما يرى البيهقي . قلت : وكلام البيهقي يجمع بين ما ورد في كتب السير وما ورد في الصحيح .

ومما زاد في مشقة أولئك الأبرار رضي الله عنهم أنهم لم يكن لهم طعام في تلك الغزاة إلا التمر والماء ، فكانوا يسكّنون جوعهم بتمرات قليلة كانت نصيب كل واحد منهم في يومه ، أما ما كانوا يلبسونه من الصوف فكاد يحرق أجسامهم إلى جانب ما كان يصيبهم من حرارة الشمس ، وقد أضحكهم طويلاً أن المطر قد انهمر عليهم في ساعة من تلك الغزاة ، فبلل أجسامهم وفاحت منهم روائح كروائح الضأن .

تحمل الصحابة رضي الله عنهم تلك الشدائد العظام ولم يتبرموا بها ، وأروا قائدهم النبي ﷺ من ضروب الطاعة ما أدخل السرور على قلبه ، ووصل عليه السلام بأصحابه بعد مسير طويل إلى غطفان ، واتجه إلى منازل قبيلة ( محارب خَصَفة ) ـ وكانوا بطناً من ثعلبة ـ وكأنما أحست محارب بمسير النبي إليها فجمعت الجموع العظيمة ، وخرجت من بيوتها ، وتفرقت في بطون الأودية وشِعاب الجبال ، ولم تجرؤ على مواجهته ﷺ .

واستهاجهم عليه الصلاة والسلام على القتال ، فلم يفعلوا ، ورأى أن من الصعوبة بمكان مطاردتهم في تلك الأماكن التي انتشروا فيها ، فاكتفى بما أدخله عليهم من الفزع ، وصلّى يومها بأصحابه الصلاة التي سميت بصلاة الخوف ،

صلّى بهم صلاة الحذر والحيطة ، فصفّت طائفة خلفه ، واتجهت طائفة إلى العدو تصده عما قد يفكر فيه من الغارة على المسلمين وهم في أثناء صلاتهم ، وأتم النبي ركعة بالطائفة الأولى ثم وقف قائماً وأتموا هم لأنفسهم ثم انصرفوا ، فوقفوا تجاه العدو ، وجاءت الطائفة الأخرى ، فصلّى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ، ثم ثبت جالساً ، فقاموا وأتموا لأنفسهم ، ثم سلّم بهم .

وعاد النبي ﷺ بأصحابه إلى مدينته الطيبة ، واستراح المجاهدون بعد ذلك التعب الشاق ، واحتسبوا أجرهم عند الله سبحانه ، وبقيت ذكريات تلك الغزوة عالقة في أذهانهم لا تمحوها الأيام والليالي .

وعلقت في ذاكرة أبي موسى ذكريات غزوة ذات الرقاع كأشد ما تكون ، وبعد سنين طويلة جلس في داره التي كانت قبالة المسجد الجامع في الكوفة ، فحدّث نفراً من أصحابه بحديث هذه الغزوة ، وبعد انصرافهم أسف على ما بدر منه ، ولام نفسه لوماً شديداً ثم أجهش في البكاء ، وأحس ببكائه ابنه أبو بردة ، فدخل عليه وقال له : مالك يا أبت ؟ فأجابه : أبكي على ما حدثت به اخواني آنفاً ، وقال أبو بردة : وماذا في حديثك مما أحزنك ؟ فقال : يا بني أخشى أن يحبط عملي

بذكري له ، فلقد شهدت رسول الله ﷺ ـ وجاءه أعرابي ـ فقال : يارسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وإني والله ما قصدت بذكري لذلك اليوم شيئاً من هذا ، لكني خشيت أن أكون قد ألمت به أو قاربته.

وازداد نحيب أبي موسى رحمه الله ، ولم يكفّ عن ذلك إلا بعد ساعة ، وبعدما سكّنه ابنه وواساه .

— ٥ —

رأى النبي عليه الصلاة والسلام شغف أبي موسى بالجهاد ، ورغبته في قتال أعداء الاسلام ، وعلم أنه صادق النية ، خالص السريرة ، يبتغي وجه الله ، وإعزاز الاسلام ، فأحب أن يرسله في وجه فيه أجر كبير ، فوجهه في سرية بحرية مع عدد من إخوانه ، وجعله أميراً لهم ، وأوصاه وإخوانه ، ثم ودّعوه وانطلقوا في وجههم ذاك .

وصل أبوموسى بأصحابه إلى ساحل البحر، فاستأجروا سفينة ، ثم أبحرت بهم على بركة الله إلى الجهة التي عيّنها لهم النبي ﷺ ، وانطلقت بهم السفينة تجري فوق متن البحر، وسعد الصحابة بمسيرهم ، فقد كانت الريح طيبة لهم وشراع

سفينة مرفوعاً ، ومضى عليهم يومهم وهم على ذلك ، وجاء الليل وهم على هذه الحالة الحسنة ، فحمدوا الله ، ودعوه أن تبقى لهم الرياح رخاء حتى يصلوا إلى جهتهم التي يقصدونها .

وبينا هم على هذه الحالة ، إذا بمنادٍ يناديهم ولايعرفون مكانه :

يا أهل السفينة قفوا أخبركم !!

وعجب أهل السفينة لهذا المنادي ، وتساءلوا من عساه يكون ، ومن أين يناديهم ، ونظروا أمامهم ووراءهم وعن يمينهم وعن شمالهم فلم يروا أي سفينة قريبة منهم .

وناداهم صاحب الصوت ثانية، فزاد عجبهم، ثم ناداهم ثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة ، يوالي بينها ، وعندها قام أميرهم أبو موسى ، فأطل على البحر ونادى :

من أنت ؟ ومن أين أنت ؟ أو ما ترى أين نحن ، وهل نستطيع وقوفاً ؟

فأجابه الصوت :

الا أخبركم بقضاء قضاه الله عز وجل على نفسه ؟ .

وردّ أبو موسى : بلى أخبرنا .

**فقال : إن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطّش نفسه لله عزوجل في يوم حار ، كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة .**

وأدرك أبو موسى وأصحابه أن هذا الهاتف هاتف" ملائكي" ، يريد أن يعلمهم فضيلة الصوم تطوعاً في الأيام الحارة، وقال لأصحابه : يا أصحاب رسول الله ﷺ : إن الملائكة تخاطبكم ، وتدلكم على الخير ، وترغبكم به ، ولله عليّ أن أجتهد فأصوم أيام الهواجر ما حييت (١) .

وتابع القوم سُراهم في ذلك الليل ، واغتبطوا بمناجاة الملأ الأعلى ، وأدّوا المهمة التي كلفهم بها رسول الله ﷺ وعادوا إلى المدينة سالمين غانمين .

- ٦ -

انصرمت السنة السابعة للهجرة ، وما قُدّر لأبي موسى أن يشهد فيها إلا مشهدين في سبيل الله ، ودخلت السنة الثامنة ، وأتيح له فيها أن يشارك في مشاهد بالغة الأهمية ، عظيمة الشأن ، بعيدة الأثر في مسيرة الدعوة الاسلامية .

---

(١) يقول أبو بردة بن أبي موسى ــ وهو راوي هذا الخبر عن أبيه ــ : كان أبو موسى يتوخى اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الانسان ، فيصومه .

وكان أول هذه المشاهد معركة مؤتة العظيمة ، التي قاتل فيها أبو موسى قتال الابطال ، والتي انطبعت صورها في ذهنه وعاش عمره لا ينساها ، وأنّى له أن ينسى تلك المواجهة الخالدة الجريئة التي واجه فيها المسلمون أعداءهم وكان عددهم ثلاثة آلاف ، وعدد أعدائهم عشرات الألوف ، وهم مدججون بالسلاح ، ومعظمهم يمتطي الخيول ؟!

ويومها رأى بطولة الأمراء الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، ورأى مصرعهم بعد أن صنعوا الأعاجيب ، ثم رأى بطولة القائد الفارس خالد بن الوليد وكيف تكسّر في يده عدد من الأسياف ، ثم فتح الله على يديه للمسلمين فتحاً مبيناً ، فقتلوا عدداً كبيراً من الرومان ، واضطروهم لإنهاء المعركة ، بفضل حيلة خالد الحربية وتراجعه شيئاً فشيئاً ، مما جعل أعداءه يوقنون أنه يريد أن يغرر بهم فيستدرجهم إلى بلاد العرب ويوقع بهم .

وعاد أبو موسى من تلك المعركة يومها حزيناً على رفيق الهجرة جعفر بن أبي طالب ، وبكاه بكاءً حاراً ، وترحم عليه ، ودعا الله أن يجمعه به في دار كرامته .

أما المشهد الآخر الذي شهده أبو موسى في تلك السنة فهو مشهد فتح مكة : الفتح الأعظم ، وقد رأى في ذلك اليوم

رسول الله ﷺ وقد مثل أمامه زعماء قريش بعد أن أديل عليهم وجاؤوه مذعنين ، فطيَّب خاطرهم ، وجبر كسرهم وقال لهم :

اذهبوا فأنتم الطلقاء .

لكن أعظم ما أسعده في ذلك اليوم هو تطهير الحرم من الأصنام والقضاء على عبادتها بعد أن سلخ العرب في تعظيمها دهراً طويلاً ، ورجعت الذاكرة بأبي موسى يومها عشر سنوات ، وتذكر يوم جاء إلى النبي ﷺ في مكة هو وعمه أبو عامر ، وكم أزعجه يومها ما رأى من كثرة الأصنام المنصوبة حول البيت المعظم ، تذكر النبي ﷺ وهو يطوف حول البيت ويشيح بوجهه عن هذه الأصنام ، ورآه في يوم الفتح هذا يطوف وبيده عود يطعن به تلك الأصنام وهو يقول :

« جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » .

فسعد بذلك سعادة عظيمة ، فقد نُظّف الحرم من الأصنام ، وامّحى الشرك من القلوب ، وصعد بلال على ظهر الكعبة ينادي : الله أكبر ، الله أكبر ، وتذكر ساعتها كلمة النبي له ولعمه من عشر سنوات : أن دينه سيظهر ويغلب على مكة وعلى العرب والعجم ، ورأى في ذلك الفتح بداية ذلك النصر المبين الذي ينتظر هذا الدين .

وبعد فتح مكة بقليل شهد أبو موسى مشهداً ثالثاً عظيم الشأن ، شهد معركة حنين الهائلة ، تلك المعركة التي اجتمع فيها للمسلمين من العدد مالم يجتمع لهم من قبل،حتى أصاب كثيراً منهم الغرور والغفلة عن الله سبحانه ، لذا كان من اللائق لهم ـ وهم في بداية الطريق في مواجهة جيوش الكفر والشرك ـ أن يتلقوا درساً بليغاً .

وكمن لهم عدوهم في وادي حُنَين العميق ، وأخذ الله أبصارهم عنه ، وفاجأهم في غَلَس الفجر ، وانقض عليهم انقضاض المردة ، فما كان من معظم المسلمين إلا أن انهزموا هزيمة منكرة ، ولم يثبت للعدو إلا النبي ﷺ وطائفة من أصحابه ، وكادت ترجح كفة المشركين لولا ثباته عليه الصلاة والسلام وثبات الابطال ذوي اليقين العظيم من أصحابه ، وسرعان ما تحولت الهزيمة إلى نصر ، ورجحت كفة المسلمين، وزلزل المشركون زلزالاً شديداً ، ثم انهزموا مدبرين ، ولحقهم المسلمون يأسرون ويقتلون ، وأنزل الله في تصوير ما جرى في ذلك اليوم قوله :

« لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حُنَين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغنِ عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته

على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم » .

- ٧ -

بعد ذلك الظفر العظيم في يوم حنين عزم النبي ﷺ على ملاحقة المنهزمين ، فتوجه هو إلى الطائف في أكثر أصحابه وعقد لواءً لأبي عامر الأشعري – عم أبي موسى – ليسير هو وطائفة من أهل البلاء يوم حنين إلى أوطاس ، لمواجهة فلاّل هوازن الذين انحازوا إليها ، وأرسل معه أبا موسى وطائفة من الأشعريين .

وانطلق أبو عامر بأصحابه باتجاه أوطاس ، وقبل لقاء العدو حضّ إخوانه على الجهاد وحثّهم على طلب الشهادة ، ثم أقبل على العدو هو وجنوده ، وجعلوا يضربون بالسيوف ويشكون بالرماح ، وأبلى أبو عامر بلاءً حسناً ، وأبلى أبو موسى وسائر الأشعريين كذلك ، فزلزلت قلوب المشركين ، وضعفت شوكتهم ، وازداد المسلمون جرأة عليهم ، فأخذ أبو عامر يحمل على شجعانهم فيعرض عليهم الاسلام ، فإذا لم يستجيبوا عرضهم على السيف فقتلهم ، وهكذا قتل منهم

تسعة متتابعين ، فاحمرّت حدق المشركين منه ، وسدد إليه أحد رماتهم سهماً فأصابه في ركبته إصابة بليغة .

ورأى المشركون أن قائد المسلمين قد أصيب فتقووا بذلك ، وأسرع أبو موسى إلى عمه ليعلم خبره ، فإذا به قد أصيب إصابة قاتلة ، وقال أبو موسى : ياعم من رماك ؟ . فأشار له إلى الرجل الذي رماه وقال له : ( ذاك قاتلي الذي رماني ) ، فشهر أبو موسى سيفه ولحق به ، فهرب الرجل أمامه ، وجدّ أبو موسى في اللحاق به حتى دخل بين المشركين وهو يقول له : ألا تستحي ، ألا تثبت ؟ وثابت إلى المشرك عزّة نفسه ، فتوقف عن الهرب ، وصمد لأبي موسى ، لكن أبا موسى ضربه ضربة قضت عليه ، ورجع سريعاً إلى عمه ليدركه قبل أن يقضي ، فوجده يجود بنفسه ، فقال له : أبشر يا عم « إن الله قد قتل صاحبك » .

وابتسم أبو عامر ، ولهج بالشكر بصوت خافت ، وقال لأبي موسى : انزع السهم من ركبتي فنزعه أبو موسى ، وطلب إليه أبو عامر أن يحمل الراية وأن يكون خليفته في قيادة المسلمين ، فحملها ، وأقبل على الأعداء من جديد ، وشدّ المسلمون جميعاً على أعدائهم شدة رجل واحد فزلزلوا من جديد ، ثم هـُزموا هزيمة منكرة بعد أن قـُتل منهم عدد كبير .

وعاد أبو موسى إلى عمه أبي عامر فوجد أن الماء قد نزا من رجله ، وأن الموت قد دبّ فيه ، وأقبل عليه ـ وقد أخذ منه الحزن كل مأخذ ـ وسالت مآقيه بالدموع ، وقبل أن يلفظ أبو عامر أنفاسه الأخيرة تكلم فقال :

يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك أبو عامر استغفر لي .

ثم لم يلبث إلا قليلاً ، حتى فاضت روحه الطاهرة ، فحفر له المسلمون حفرة ، ودفنوه فيها ، ثم قفلوا راجعين .

## - ٨ -

عزّ على أبي موسى فقدُ عمه أبي عامر ، واشتد حزنه عليه ، وبكاه طويلاً ، فقد فقد فيه أخاً عزيزاً ، وصديقاً حميماً .. وارتسمت في مخيلته ذكرياته الجميلة مع ندّه العزيز وعمه الحبيب ، تذكر الطفولة في وادي زبيد ، وتذكر ذلك اليوم الذي احتفل فيه بمبلغهما مبلغ الشبان فعصبت على رأس كل منهما عمامة ، ثم استعرض أجمل ذكرى له معه ، استعرض مجيئهما معاً إلى مكة ومغامرتهما الجريئة في الارتحال إلى رسول الله ﷺ ، واسلامهما على يديه في مكة المكرمة ، ثم عودتهما إلى قومهما ليكونا أول داعيين للاسلام

في الأشعريين ، ثم استعرض قصة الهجرة ، وليلة البحر الرهيبة ، ومقامهما في الحبشة ثم استئنافهما السفر بصحبة جعفر ومن معه ، ثم لقاءهما وقومهما برسول الله ﷺ في خيبر وفرح النبي بهما .

ثم استعرض حياته مع عمه في المدينة المنورة في ظل النبي ﷺ ، وإقبال عمه على النبي وحبه له وطاعته التامة ، وتذكر كيف أن عمه كان يدعو الله كثيراً أن يرزقه الشهادة بعد الذي قرأه في القرآن الكريم عن شهداء أحد في سورة آل عمران وبعد الذي سمعه من النبي ﷺ في فضل الشهادة ، وكيف أن الله استجاب دعاءه لما يعلم من صدقه ، واتخذ منه شهيداً ، رفيع القدر ، عظيم الثواب ، دائم الذكر .

كان أبو موسى مشغول الفكر أثناء رجوعه بتلك الذكريات ، وكانت تلك الذكريات تزيده حزناً على عمه ولوعة على فقده ، وحين وصل إلى النبي ﷺ وهو يحاصر الطائف ، استشعر عليه الصلاة والسلام استشهاد أبي عامر حين لم يره ، ورأى الراية في يد أبي موسى ، وبادر النبي أبا موسى قائلاً : « يا أبا موسى ، أقتل أبو عامر ؟ » فأجاب والدموع تنهمر من عينيه: نعم يا رسول الله ، ولقد كان آخر ما تكلم به قوله لي : « ياابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك أبو عامر : استغفر لي » .

وحزن صلوات الله وسلامه عليه لموت صاحبه أبي عامر، وذكره بخير ، ودعا له بالرحمة ، ثم طلب ماءً فأتي به ، فقام وتوضأ ، ثم رفع يديه إلى السماء وقال :

**« اللهم اغفر لعُبيدٍ أبي عامر ، اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك » .**

ومسح هذا الدعاء الكريم من النبي الرحيم كثيراً من احزان أبي موسى ، وطمع هو الآخر في دعوة مباركة من رسول الله ، فقال له : ولي فاستغفر يا رسول الله .

ورفع النبي ﷺ يديه من جديد ودعا :

**« اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » .**

وطابت نفس أبي موسى ، وكان هذا الدعاء له ولعمه بلسماً لجرحه الذي أصيب فيه يوم فقد عمه ، فخفت أحزانه، وواساه النبي مواساة كريمة ، وواسى سائر الأشعريين بفقد ذلك السيد الكبير الذي كان من أفضل قومه إيماناً وطاعة وجهاداً .

وبعد أيام قليلة تلقى أبو موسى بشارة من النبي ﷺ ، سعدت لها نفسه ، وفرح لها قلبه ، وكانت مواساة أخرى من النبي الرحيم الكريم له ؛ فبينا كان أبو موسى عند النبي

ﷺ وهو نازل بالجِعْرانة ومعهما بلال ، إذ أتى أعرابي ، فقال للنبي ﷺ : ألا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له عليه السلام : أبشر ، فقال الأعرابي بجفاء : قد أكثرت علي من أبشر ، فأعرض عنه النبي صلوات الله عليه ، وأقبل على أبي موسى وبلال والغضب بادٍ عليه ، وقال لهما : « إن هذا قد ردّ البشرى فاقبلا أنتما ، وقال أبو موسى وبلال : قبلنا يا رسول الله » .

ثم دعا عليه السلام بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ، ومجّ فيه ، ثم قال :

«اشربا منه ، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا» .

وفعل أبو موسى وبلال ما أمرهما به النبي ﷺ ، وفرحا بذلك ، وسمعا من وراء الستر صوت أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ وهي تناديهما :«أفضِلا لأمكما مما في إنائكما» . فأجابها أبو موسى : نعم يا أمّه ، وحمل الاناء ووضعه إلى جانب الستر .

وفعلت هذه المواساة النبوية فعلاً آخر في نفس أبي موسى ، فسكنت نفسه ، وخف حزنه على عمه ، وكان من قبل قد نال الدعوة المباركة ، التي عاش يرجو بها الخير والسعادة في دنياه وآخرته .

حل الأشعريون عند رسول الله ﷺ بالمحل الأسمى ، فقد أحبهم لقوة إيمانهم ، وصلاح نفوسهم ، ولإقبالهم على القرآن وحفظه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار . وأعجبه منهم حبُّ بعضهم بعضاً وتعاونهم ومواساتهم وإيثارهم ، وإقبالهم على العلم وتناوبهم على ذلك ؛ حتى لا يفوتهم شيء ، وامتدحهم على هذه الأخلاق الفاضلة أمام أصحابه .

فقد قال عنهم مرة : « إني لأعرف أصوات رُفْقة الأشعريين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا » (١) .

وقال عنهم مرة أخرى : « إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزوِ (٢) ، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة ؛ جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحدٍ ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسويّة ، فهم مني وأنا منهم » .

---

(١) وذلك أثناء الغزو ، فكان عليه الصلاة والسلام ، يعرف أين منازلهم من أصواتهم .

(٢) أرملوا : فني طعامهم .

ولئن كانت منزلة الأشعريين عموماً رفيعةً عند النبي ﷺ ، فإن منزلة أبي موسى كانت أرفع ، ومكانته أسمى ، فهو إلى جانب فهمه الكبير ، وذكائه النادر ، وصوته الجميل ، خير قومه إيماناً ويقيناً واجتهاداً وطاعة لله ورسوله .

فلقد كان يحرص دائماً على الحضور إلى المسجد النبوي ليصلي المغرب والعشاء خلف النبي عليه الصلاة والسلام ، ليكتسب علماً جديداً وثواباً جزيلاً ، ويبلّغ قومه ما تعلمه ، في حين كان بقية الأشعريين يتناوبون الحضور . وكان في معظم أيامه يصلي المغرب خلفه عليه الصلاة والسلام، ثم يجلس ينتظر العشاء ، ويشغل نفسه بالنوافل وقراءة القرآن ، ومذاكرة العلم مع إخوانه . وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتأخر في بعض الأحيان في الخروج لصلاة العشاء ، ويطول به التأخر ، فيبقى أبو موسى ينتظره ولا يمل إلى أن يخرج فيصلي بهم .

وفي يوم من الأيام شغل النبي ﷺ عن صلاة العشاء حتى غاب الشفق وابهارّ الليل(1) ، ثم خرج فصلّى بأصحابه، فلما قضى صلاته قال لمن حضره : « على رِسْلكم أكلمكم

---

(1) ابهار الليل : انتصف .

وأبشروا : إن من نعمة الله عليكم أنــه ليس أحدٌ من الناس يصلي هذه الساعة غيركم » وكان لكلمته عليه الصلاة والسلام وقعاً لا أجمل ولا أحلى على قلب أبي موسى ومن معه ، وعاد في ذلك الليل البهيم إلى وادي بُطْحان والسرور ينير أمامه الظلمات حتى كأنه لا يشعر بها .

وتكرر هذا الأمر مع أبي موسى وأصحابه ، وفي كل مرة يكلم النبي أصحابه بما يملأ قلوبهم سروراً،ويحدثهم ويبشرهم . وفي مرة من المرات قال لهم ــ وقد تأخر عليهم طويــلاً ــ : « ما زلتم ههنا » ؟ فأجابه أبو موسى : يا رسول الله ، صلينا معك المغرب ، ثم قلنا : نجلس حتى نصلي معك العشاء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أحسنتم » .

ثم نظر إلى السماء فقال : « النجوم أمَنة للسماء (١) ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ماتوعد . وأنا أمنة لأصحابي(٢)،

---

(١) النجوم أمنة للسماء : أي أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية ، فإذا انكدرت وتناثرت في يوم القيامة ، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت .

(٢) أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب ، ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً . وقد وقع كل ذلك .

فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » (١) .

وليس يعلم إلا الله كم كان فرح أبي موسى يومها بمقالة النبي عليه الصلاة والسلام ، ويومها دعا ربه أن يجعله من أولئك الصحب الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ، وجعلهم أمنة لأمة محمد ﷺ .

- ١٠ -

صدر أمر رسول الله ﷺ في رجب من السنة التاسعة إلى أصحابه في المدينة وما حولها بالتهيؤ لغزو الروم في أطراف الشام ، وعلم الناس هذه المرة الجهة التي يقصدها رسول الله ﷺ ؛ إنه يقصد تبوك ويريد مواجهة الروم وقتال من يليه من الكفار .

وأخذ الناس يتهيأون للخروج مع نبيهم ، واشتدت الرغبة في المشاركة في هذا الوجه ، وقدم المدينة ناسٌ كثيرون ممن حولها يريدون الجهاد ، ولم يبالوا يومها بالحر الشديد ،

---

(١) يريد عليه الصلاة والسلام : ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه ، وغير ذلك مما تنبأ به فوقع بعضه ، وسيقع بعضه الآخر .

ولم يبالِ أهلَ المدينة خاصة بنضج ثمارهـا ، ولم يقعدوا لقطافها ، بل آثروا رضوان الله ورسوله ، وعزموا على النفر في سبيل الله .

كانت الجهة التي يريدها النبي ﷺ بعيدة ، فلا بدّ إذن من دوابّ يركبها المجاهدون ، وشقّ على كثير منهم أمر ايجاد الدواب ، فلجأوا إلى النبي الكريم الرحيم يطلبون منه ذلك ، فلبى طلب عددٍ منهم .

وفي وادي بطحان جلس الأشعريون إلى سيدهم أبي موسى ، وتحدثوا في أمر المشاركة في هذه الغزوة ، وأبـدوا عن رغبتهم الشديدة في صحبة النبي ﷺ في هذا الوجـه ، لكنهم شكَوا جميعاً أنهم لا يجدون ما يركبونه من الدواب ، وتخوفوا من المشقات التي سوف تعترضهم ولايستطيعون مجابهتها ، فالمسافة طويلة ، والطريق وعر ، والحر شديد ، وجعلوا يتحسرون ، وغشيتهم الأحزان ، وقال قائلهم : اذهب يا أبا موسى إلى رسول الله ﷺ ، فاطلب منه حملاناً لنا ؛ فإن لك وجهاً عنده ، فاستجاب أبوموسى وقال: نعم إني فاعل .

وتوجه أبو موسى إلى مقصده ، وأتى النبي ﷺ والناس مزدحمون حوله ، وكلهم يطلب منه أن يحملهم ، وكان قد نقل يومها للنبي كلامٌ مرير من كلام المنافقين في تخذيل الناس

عن الخروج ، وفي غمز ولمز الصحابة الذين كانوا يحملون ما عندهم من مال وزاد إلى رسول الله ، ليعين به المجاهدين ـ فغضب يومها عليه الصلاة والسلام غضباً شديداً ، ووافاه أبو موسى وهو غضبان ، فسلّم عليه وقال : « يا نبي الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم » وأجابه عليه السلام وهو مغضب : « والله لا أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه » .

وقام أبوموسى من المجلس حزيناً ، وقد أظلمت الدنيا في وجهه ، فقد ظن أن النبي قد وَجَد عليه ، فحزن لذلك حزناً شديداً ، وجعل يتعثر في مشيته . وزاد من حزنه أنه لم يحصل لأصحابه شيئاً مما جاء من أجله ، وأنه وهم سوف يتخلفون عن صحبة النبي ﷺ والغزو معه .

وقدم على قومه وأمارات الحزن بادية على وجهه ، فعرفوا أنه لم يجب إلى طلبه ، وبادرهم هو باللوم ، وقال : **ماذا لقيت اليوم بسببكم !! لقد وافقت النبي وهو غضبان** ولا أدري ، فا ستحملته لكم ، فحلف أن لا يحملكم . ثم جلس كاسف البال ، حزين النفس ، وجعل إخوانه يلاطفونه ويواسونه .

وبينا أبو موسى على تلك الحال من الحزن وقد ضاقت به الأرض بما رحبت ، إذا ببلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ

يقف أمامه ويقول له : أيْ عبد الله بن قيس ، أجِبْ رسول الله فإنه يدعوك .

واستبشر أبو موسى خيراً ، وخفّ حزنه قليلاً ، وقام مع بلال ، حتى إذا صار في مجلس رسول الله ﷺ حيّاه ، فردّ النبي ﷺ عليه التحية وتبسم له ، فطابت نفسه وانجلت أحزانه لتلك الابتسامة ، وقال : والله يا رسول الله ، ما أتيتك من نفسي ، إنما أرسلني قومي ، فأحببت أن أكون شفيعهم إليك .

وضحك النبي ﷺ وقال له : « خذ هذين القرينين ، وهذين القرينين ، وهذين القرينين ـ وأشار لستة أبعرة ـ فانطلقْ بهن إلى أصحابك ، فقل : إن رسول الله يحملكم على هؤلاء » .

وشكر أبو موسى لرسول الله صنيعه ، واستاق الأبعرة الستة ، وجاء بها إلى قومه ، فحدثهم بماجرى معه هذه المرة ، بَيْد أنه خشي أن يظن أحد منهم ظن سوء بما جرى منه أولاً وآخراً ، فقال لهم : « ولكن ـ والله ـ لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ حين سألته لكم ، ومنعه في أول مرة ، ثم إعطاؤه إياي بعد ذلك ، لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله » .

وصاح رجال قومه جميعاً : « والله إنك عندنا لمصدّق»
يا أبا موسى . لكنه لم يرض إلا أن يجيبوه إلى طلبه ، فأجابوه
وقالوا : « لنفعلنّ ما أحببت » . فانطلق بنفرٍ منهم حتى أتوا
الذين سمعوا قول رسول الله له أولاً وآخراً ، فوجدوا
الحديث كما حدثهم به ، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم .

وجلس أبو موسى عصر ذلك اليوم في بيته يسترجع
ما جرى معه فيه ، وأخذ يقص على زوجته قصته وما أصابه
من حزن شديد حين خشي أن يكون قد أغضب النبي ﷺ ،
وكيف سُري عنه حزنه حين استدعاه النبي وتبسم له وأعطاه
الأبعرة ، وإنه لفي تحديثه لزوجه ، إذا به يفطن لأمر فيكفهر
وجهه، ويغيض السرور عن وجهه ، ويعاوده الحزن، فيتوقف
عن الكلام . وتسأله زوجه : مالك ؟ ما الذي غيرك ؟ فأجابها :
تعلمين ، والله لقد تغفّلْنا رسول الله يميناً أقسم عليها !!

ثم قام لتوّه إلى قومه ، فجمعهم وقال لهم : يا قوم ،
إنه قد جرى اليوم أمر عظيم لم أفطن له إلا هذه الساعة ،
فقالوا : وما هو يا أبا موسى ؟ فقال : إني حين أتيت رسول
الله أول مرة أستحمله حلف ألاّ يحملنا ، وحين أرسل ورائي
ثانية وأعطاني الأبعرة ، لم يذكر النبي يمينه ولم أذكر أنا ،
لقد تغفّلنا رسول الله يمينه، والله لئن فعلنا هذا لا نفلح أبداً !!
اذهبوا معي نذكره يمينه .

وجاء أبو موسى إلى النبي ﷺ وقال له : يا رسول الله، أتيتك أستحملك ، فحلفت أن لا تحملنا ، ثم حملتنا ، فظننت أنك نسيت يمينك .

وتبسم رسول الله ﷺ ، وسره ما رأى من أمانة أبي موسى وصدق ديانته ، وقال له وللنفر الذين معه : « إني ــ والله ــ إن شاء الله ، لا أحلف على يمين ، فأرى غيرها خيراً منها ؛ إلا أتيت الذي هو خير" وتحللتها ، فانطلقوا ، فإنما حملكم الله عز وجل » . وخرج أبو موسى لمّا سمع ما سمع ، وطابت نفسه ، وخرج قومه ، ورجعوا جميعاً راضين مسرورين .

وانطلق رسول الله ﷺ قِبَل تبوك ، وأوعب معه الألوف الكثيرة في هذا المسير ، وجعل أصحابه يتناوبون الركوب على دوابهم ، وضرب أبو موسى وجماعته أعلى مثل للمواساة والتراحم والتعاون في هذا المسير ، فقد اكتفوا بالأبعرة الست التي أعطاهم إياها النبي ، وبذلوا في ذهابهم وإيابهم نشاطاً عظيماً ، وأروا من أنفسهم صبراً جميلاً .

وتحمل سائر الصحابة في تلك الغزوة المشاق الهائلة ، وصبروا على الجوع والعطش ، وشدة الحر ، وساروا وراء الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه في طاعة تامة ، وأدوا المهمة التي خرجوا من أجلها خير أداء ، وعادوا بعد ذلك إلى

مدينتهم الطيبة ، بعد أن نالوا على جهادهم ذلك الثناء العطر الذي سجله لهم القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة التوبة: « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ، الذين اتبعوه في ساعة العسرة ، من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، إنه بهم رؤوف رحيم » .

- ١١ -

لم يمضِ على صحبة أبي موسى لرسول الله ﷺ سوى سنتين حتى أصبح من سادات الصحابة وعلمائهم وأعيانهم وذوي الوجاهة فيهم عنده صلوات الله وسلامه عليه .

فقد أقبل خلال تلك المدة على رسول الله ﷺ إقبالاً عظيماً ، فحمل عنه علماً جليلاً ، وأخذ منه الكثير من سور القرآن الكريم ، والعديد من الأحاديث ، مع فهم وتدبر وعمل.

ولقد فقه خلال تلك المدة الكثير من أحكام الدين ، وحفظ أقضية النبي ﷺ ، وصار أهلاً ليجيب الناس ــ ولا سيما قومه الأشعريين ــ عن بعض الأسئلة ، بل لقد صار يفتي الناس في جملة قليلة من الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر ومعاذ وعلي وغيرهم ، في زمنه عليه الصلاة والسلام . وساعده على ذلك ذاكرة قوية ، وفهم جيد ، وانتباه ويقظة ، واجتهاد

عظيم ، وقبل هذا كله توفيق من الله وفتح مبين . وإلى جانب الفقه والقراءة تحلّى أبو موسى بالاجتهاد في العبادة ولَبِس لباس التقوى ، وكان من الطائعين المستجيبين لله ولرسوله ، وزاده كل ذلك رفعة عند المسلمين .

وعرف النبي ﷺ لأبي موسى فضله ، فأحبه وقربه ، وأجلّه ودعا له ، وعرف له الأصحاب أيضاً فضله ، فأحبوه واحترموه ، ووثقوا بدينه وعلمه . أما قومه الأشعريون فقد أصبح سيدهم الذي لا ينازع ، وقد اعترفوا له جميعاً بهذه المنزلة ، وبفضله عليهم ، فقد كان داعيهم الأول للاسلام ، وكان رائدهم في الهجرة ، ثم هو اليوم أقربهم إلى رسول الله ، وأكثرهم ملازمة له ، واقرؤهم للقرآن ، وأفقههم بالدين .

ولقد تعلموا منه الكثيرمن سور القرآن الكريم ، وحدثهم بالكثير من أحاديثه عليه الصلاة والسلام ، بل إنه كان يبلغهم كل ما كان يسمعه من النبي حين يغيبون هم .

رجع يوماً إلى قومه بعد العشاء الآخرة فقال لهم :

« قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال :

« إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام . يخفض

القسط ويرفعه (١) . يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابُه النور (٢) . لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه (٣) » .

وقال لهم يوماً حدثنا رسول الله فقال :

« مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير : فحامل المسك إما أن يَحْذِيَك ـ يعطيك ـ ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » .

وقد عجب قومه يومئذ أشدالعجب من ذلك التشبيه الذي جرى في كلامه عليه الصلاة والسلام ، وسمعوا من جديد بينة من بيناته الفصحى وكلماته الجامعة .

وكان أبو موسى أحياناً يستجرهم لسؤاله عما تعلّمه من

---

(١) القسط : الميزان ، والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ويوزن من أرزاقهم النازلة .

(٢) حجابه النور : الحجاب هنا : المانع من رؤيته سبحانه .

(٣) سبحات وجهه : نوره وجلاله وبهاؤه .

النبي ﷺ وتبليغهم إياه بأساليبه الحسنة الذكية .. قال لهم يوماً سمعت من رسول الله البارحة كلمتين ما أحب أن لي بهما حُمْرَ النّعم ، فقال قائل : حدثنا بهما يا أبا موسى ، فقال : نعم :

أما الكلمة الأولى : فقد سمعته ﷺ يقول :

« إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً ، فقال : يا قوم ، إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العُرْيان، فالنَّجاءَ النَّجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا (١) فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق » .

وأما الكلمة الأخرى ، فقد سمعته ﷺ يجيب رجلاً سأله قائلاً : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يلحق بعملهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « المرء مع من أحب » .

---

(١) أدلجوا : ساروا من أول الليل .

وحين كسفت الشمس ووافق ذلك يوم وفاة إبراهيم ابنه ﷺ ، كان أبو موسى أسرع قومه إلى المدينة ، فدخل المسجد ، وجعل يرقب النبي ، فرآه قد خرج من احدى حجراته فزعاً لكسوف الشمس ، ثم دخل المسجد ، فصلّى بأطول قيام وركوع وسجود ، ثم شهد معه دفن ابنه ابراهيم، وعاد بعد صلاة العشاء إلى قومه ، فحكى لهم ما رأى في ذلك وقال له قائل وقتها : يا أبا موسى ، إن الناس يقولون : إن الشمس كسفت لموت ابراهيم بن رسول الله ﷺ ، فأجابه : لا ، إن رسول الله ﷺ قال لنا في هذا اليوم بعد ما سمع أن الناس قد تحدثوا بهذا الحديث :

« إن هذه الآيات التي يرسل الله ، لاتكون لموت أحدٍ ولا لحياته ، ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده ، فإذا رأيتم منها شيئاً فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره » .

وهكذا كان دأب أبي موسى مع قومه ، يحب لهم الذي يحب لنفسه ، فيعلمهم كل ما تعلمه ، ويرشدهم لكل خير ، وظل أمره يعلو بينهم حتى أصبح سيدهم وعالمهم وربانّيهم .

## - ١٢ -

جلس أبو موسى ضحى يوم من الأيام في بيته يفكر فيما يفعله في يومه ، وجال في خاطره أمور عديدة تستحق أن

ينصرف لها أو لبعضها، لكنه لم يجد من نفسه نشاطاً لأداء أيٍّ منها ، بل وجد من نفسه رغبة ملحّة في أن يذهب إلى النبي ﷺ ويكون معه ، ولم يدرِ في حينه سبب تلك الرغبة القوية، فقام من توه فتوضأ وذهب إلى أخيه أبي بردة وقال له : الحق بي فإني ذاهب إلى رسول الله لأكون معه .

وأتى أبو موسى ، فسأل أهل الصُّفَّة عن النبي ﷺ ، فقالوا له : خرج وحده من وقت ومشى قِبَل قباء ، وماندري أين يقصد . وتبعه أبو موسى ، وجعل يسأل كل من رآه عنه، حتى علم أخيراً أنه قد دخل البستان الذي فيه بئر أريس والمقابل لمسجد قباء .

ووقف أمام باب البستان ـ وكان من جريد النخل ـ فحركه يريد أن يسمعَ النبي ﷺ فيشعر بمجيئه ، ثم فتح الباب وتقدم خطوة ، وأجال نظره في أنحاء البستان ، فإذا بالنبي ﷺ في وسطه فرآه النبي ، فناداه : « ياأبا موسى ، املك عليّ الباب ، فلا يدخلنّ علي أحد » وقام أبو موسى على باب البستان ، وذهب النبي إلى ناحية منه فقضى حاجته ، ثم عاد فتوضأ ، ثم جلس على حافة بئر أريس فوق دكّة بنيت حولها ، ودلّى برجليه في البئر وظهر كأنه يفكر في أمر بعيد الغور .

وجاء أبوموسى فسلَّم على النبي فرد عليه التحية ، ثم عاد إلى ما كان عليه من التفكير ، وأحب أبو موسى ألاّ يشغل النبي عما هو فيه ، وحدثته نفسه أن يعود فيقف على باب البستان ويستأذن لكل داخل على النبي ﷺ ، وبينما هو يفكر في هذا الأمر ، إذا بالنبي ﷺ يأمره بحفظ باب البستان، فوافق هذا الأمر هوىً في نفسه فقام من جديد على الباب وترك النبي ﷺ وشأنه .

وبعد قليل أحس أبو موسى أن الباب يدفع فقال : من هذا ؟ فأجاب مَنْ وراء الباب : أبو بكر ، فقال له : على رِسْلك ، ثم سعى فاستأذن له النبي ، فقال له : « ائذن له وبشره بالجنة » ، وعاد سريعاً إلىالباب ففتحه لأبي بكر،وقال له : يا أبا بكر إن رسول الله يبشرك بالجنة ، فبرق وجهه سروراً ، وشكر أبا موسى على هذه البشارة ، ثم توجه إلى النبي ﷺ فسلم وجلس عن يمينه ، ودلّى رجليه في البئر ، يريد أن يدع النبي ﷺ على حالته ، فلا يحرجه بإخراج رجليه وضمهما لو فعل هو ذلك .

ولم يمضِ على مجيء أبي بكر إلا وقت قصير فإذا بالباب يحرك من جديد ، ورجا أبو موسى أن يكون أخاه قد لحق به، فقال : مَنْ ؟ أبو بردة ؟ فأجابه : لا ، عمر بن الخطاب ، فقال

له أبو موسى : على رِسْلك ، ثم ذهب فاستأذن له النبي ﷺ ، فقال له : « ائذن له وبشره بالجنة » ، وسعى أبو موسى قِبَل الباب ففتحه ، وفاجأ عمر قائلاً : يا أبا حفص إن رسول الله ﷺ يبشرك بالجنة ، وضحك عمر مغتبطاً ، وقال له : جزاك الله خيراً يا أبا موسى ، ثم أقبل على النبي وصاحبه ، فسلّم عليهما ، ثم جلس عن يسار النبي ﷺ ، ومدّ رجليه كما فعل صاحباه .

وحرّك الباب مرة ثالثة ، ورجا أبو موسى ـ أيضاً ـ أن يكون القادم أخاه ، ونادى مَنْ بالباب ؟ فأجابه : عثمان ابن عفان ، فقال له على رِسْلك ، ثم استأذن له النبي ﷺ ، فقال له : « ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » وفتح أبو موسى الباب وقال لعثمان : يا أبا عبد الله إن رسول الله يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك ، وفرح عثمان لهذه البشارة وقال : الحمد لله ، الله المستعان ، اللهم صبراً ، ثم أقبل على النبي ، فسلم ووقف ، فلم يجد مكاناً في الجهة التي جلسوا فيها ، فجلس وجاههم .

وبقي النبي وأصحابه الثلاثة ساعة يتحدثون ، وبقي أبو موسى قائماً على باب البستان ، وهو أسعد ما يكون بهذه الخدمة يؤديها إلى حبيبه رسول الله وللصفوة من صحبه .

وبعد ساعة قام النبي ﷺ وقام أصحابه ، وشكر النبي ﷺ أبا موسى ، وأمسك بيده ، ثم سار إلى جانبه ، وعاد الجميع إلى المدينة ، فأدى أبو موسى مع النبي صلاة الظهر، ثم بقي معه عامة يومه ، فتعلّم منه ، وسعد بقربه .

وحينما عاد إلى بيته بعد صلاة العشاء من ذلك اليوم أدرك أبو موسى سرّ تلك الرغبة التي دفعته ليصحب النبي عليه الصلاة والسلام في يومه ذاك ، فلقد هيأت له المقادير أن يطلع على بعض أمور الغيب التي تعلمها من النبي ﷺ ، فعلم أن أصحاب رسول الله الثلاثة سيدخلون الجنة ، وازداد فضلهم في نظره ، وأصبحوا قدوة حسنة له فيما يفعل ويدع، وأضاف لحبهم القديم حباً جديداً ، ولم ينسَ لهم هذه المنقبة أبداً ، فلطالما حدّث بها الناس فيما بعد .

لقد كان هذا اليوم من الأيام الخالدة في حياة أبي موسى، فقد كان لما رآه وتعلمه وسمعه فيه ؛ أثره الكبير في مجرى حياته فيما بعد ، خصوصاً بعد النبي ، وعلى الأخص في أيام الفتن التي قامت في المجتمع الاسلامي فيما بعد .

## - ١٣ -

كان لغزوة تبوك التي غزا فيها النبي ﷺ أطراف الشام في شهر رجب من العام التاسع أثرها الكبير في امتداد الاسلام،

وإقبال الناس عليه ، ووفودهم على رسول الله ، وأضيف هذا العامل لفتح مكة من قبل ، فأثمرا تلك الثمرة الطيبة .

انتشر الاسلام في بلاد العرب ، ودخل هذا الدين كلّ قبيلة وكل موطن ، وأخذ النبي عليه الصلاة والسلام يرسل العليّة من أصحابه دعاة إلى الاسلام وعمالاً في البلاد ، يفقّهون الناس بدينهم ، ويحكمونهم بشريعة الاسلام ، ويجبون الصدقات .

وكان من بين أولئك الذين رغب رسول الله في استعمالهم أبو موسى الأشعري ، فقد كان عالماً فطناً ، وعابداً تقياً ، وكان يتطلع إلى الله والدار الآخرة .

وبينا أبو موسى غدوة يوم في بيته جاءه رجلان من أبناء عمومته ، وقالا له : ( انطلق معنا إلى رسول الله ﷺ ، فإنّ لنا حاجة ) ولم يشأ أبو موسى أن يسألهما عن حاجتهما، فقام معهما ، حتى أتوا النبي ﷺ وبيده عود يستاك به ، فسلموا ، ثم جلسوا ، ثم ابتدر أحدهما الكلام فقال : يا رسول الله « أمّرنا على بعض ما ولاك الله » وقال الآخر : يا رسول الله « جئناك لتستعين بنا على بعض عملك » .

وفوجىء أبو موسى بحاجتهما ، فاستحيى من النبي ﷺ وأطرق رأسه ، أما النبي ﷺ فقد كره طلبهما ، وكأنه عتب

على أبي موسى لمجيئه معهما فقال له : يا أبا موسى !! ونظر أبو موسى إلى النبي ﷺ والبراءة تكسو وجهه ، واعتذر إليه قائلاً : « والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما ، وما شعرت أنهما يطلبان العمل » .

وقبل النبي ﷺ عذر أبي موسى وصدقه ، وقال لصاحبيه : « لن نستعمل على عملنا من أراده » .

ثم خاطب أبا موسى قائلاً : « ولكن اذهب أنت يا أبا موسى إلى اليمن » .

وفي اليوم التالي أرسل النبي ﷺ وراء أبي موسى ومعاذ ابن جبل ـ وكان قد استعمله هو الآخر على اليمن ـ فحدّد لكل واحد منهما مكان عمله ، فجعل لمعاذ شمال اليمن ، وجعل لأبي موسى جنوبه ، ثم طلب إليهما أن يدعوا الناس إلى النطق بالشهادتين ، فإن هم أطاعوا دَعَواهم إلى أداء الصلوات الخمس كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا أخذا منهم زكاة أموالهم . ثم أوصاهما عليه الصلاة والسلام بوصاياه وأكد عليهما في تعليم القرآن ، وختم كلامه قائلاً : « يسِّرا ولا تعسِّرا ، وبشّرا ولا تنفّرا » .

وطلب أبو موسى من معاذ أن ينطلقا معاً ، وأن يبادرا إلى السفر ، لكن معاذاً اضطر للتأخر بعض الوقت ، وخاف

أبو موسى إن تأخر أن يكون في ذلك توانٍ عن أمر النبي ﷺ ، فأخبر معاذاً أنه سوف ينطلق قبله ، وطلب كل واحد من الآخر أن يزوره حينما يقترب منه وهو يتجول في أنحاء عمله الذي حدده له النبي ﷺ ، وودع أبو موسى معاذاً واخوانه من الصحابة وقومه الأشعريين ، ثم ذهب يودع النبي ﷺ ، وقال له :

يا رسول الله ، إن باليمن أشربة ، فما أشرب منها وما أدع ؟ فقال النبي ﷺ : « وما هي » ؟ قال : البِتْع والمِزْر ، فقال : « وما البتع والمزر ؟ » فقال أبو موسى : أما البتع فنبيذ العسل ، وأما المزر فنبيذ الشعير ، فقال النبي ﷺ : « لا تشربن مسكراً » ثم أوصاه بتقوى الله ودعا له . وصافح أبو موسى رسول الله ﷺ مودعاً ، وانطلق باتجاه اليمن بعدما أحس كأن قلبه الذي بين جنبيه قد خلع ، حَزَناً على فراق النبي ﷺ ، ومدينته الطيبة ، واخوانه الصالحين .

وهناك في بلاد اليمن قام أبو موسى الأشعري يدعو الناس إلى الاسلام ، ويرغبهم فيه ، ويبين لهم فضائله ، وأخذ يقول للناس : إن الله قد بعث محمداً ﷺ خاتماً للنبيين، وجعله بشيراً ونذيراً ؛ فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار . وأخذ يتلو عليهم المبشّرات والمنذرات من آيات

الذكر الحكيم . ووصف للناس رسول الله وسيرته وخلقه ، وحدثهم عن حرصه على هداية الناس ، وكرر عليهم قوله عليه الصلاة والسلام :

« إنما مَثَلي ومثلُ الناس كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقَعْن فيها ، فجعل ينزعهنَّ ويَغْلِبْنَه ، فيقْتَحِمنَ فيها ، فأنا آخذُ بحُجَزكم عن النار ، وأنتم تقتحمون فيها » .

واستعان أبو موسى بتلاوة القرآن في دعوته ، فكان يتلو آياته على الناس ، فيتأثرون بها أيما تأثر ، ونشط في دعوته ، فأقبل الناس على الاسلام ، وأسلم على يديه أناس كثيرون ، وانضافوا لمن كان أسلم قبل .

وقدم معاذ بن جبل إلى الجزء الشمالي من اليمن ، وقام هو الآخر بعمله خير قيام ، وجعلا يتزاوران ، ويتذاكران في أمور الدعوة . وفي إحدى المرات زار معاذٌ أبا موسى ، فرآه وقد اجتمع حوله الناس وعنده رجل قد جمعت يداه إلى عنقه ، فسلَّم معاذٌ وهو راكب على بغلته ، وردّ أبو موسى عليه السلام وبشّ في وجهه ، وألقى إليه وسادة وقال له : انزل ، فقال معاذٌ : ما بال هذا الرجل يا أبا موسى ؟ فقال :

هــذا رجل يهودي ، أسلم ثم ارتد ، وقد أردناه على التوبة شهرين فلم يفعل ، وأحسبه ممن عناه الله بقوله : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمِنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » إنه والله يريد شراً بهذا الدين .

ولما سمع معاذٌ ذلك قال : لا أنزل حتى يقتل !! فقال أبو موسى : إنما جيء به لذلك فانزل ، قال : ما أنزل حتى يقتل ، قضاء الله ورسوله . فأمر بــه فقتل . ونزل معــاذ وصافح أبا موسى ومن معه ، وطابت نفوس الجميع بمقتل هذا اليهودي الماكر .

وفي المساء جلس أبو موسى ومعــاذ ، وتذاكرا أمور الدعوة إلى الاسلام ، وأوضح كل منهما منهجه في العمــل وطريقه في الدعوة ، ونصح كل منهما الآخر ، ثم سأل معاذ أباموسى فقال له : يا أبا موسى ، كيف تقرأ القرآن ؟ فأجابه، أقرؤه قائماً وقاعــداً وعلى راحلتي ، وأتفوقه تفوقــاً (١) ؛ وقال أبو موسى : فكيف تقرأ أنت يا معاذ ؟ فأجابــه : أنام

---

(١) أي ألازمُ قراءته ليلاً ونهــاراً ، شيئاً بعد شيء ، وحيناً بعد حين .

أول الليل ، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم ، فأقرأ ما كتب الله لي فأحتسب نومتي كما احتسبت قومتي (١) .

وتكرر تزاورهما وتذاكرهما في أمور الدعوة إلى الاسلام، وفي شؤون العبادة والعلم ، وبذلهما النصح لبعضهما. ونشط كل منهما في ناحيته بدعوته إلى الله ، وأثمرت دعوتهما في اليمن ثمرة مباركة ، فقد أسلم على يديهما بشر كثير ، وسجل في صحيفتيهما من الخير مالايعلمه إلا الله سبحانه .

## - ١٤ -

انتشر في أنحاء الجزيرة كلها نبأ عظيم ، وهو أن النبي ﷺ يريد الحج عامه هذا (٢) ، وهو يعزم على كل مسلم قادر على الحج أن يوافي الموسم ، ولبى عدد جم من المسلمين دعوة النبي ﷺ ، فانطلق قسم منهم إلى المدينة ليسير خلف النبي ﷺ ويسعد بصحبته ، واتجه آخرون إلى مكة ليلتقوا هناك بالنبي ويأخذوا عنه مناسكهم .

---

(١) أي أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب، لأن الراحة إذا قصد بها الاعانة على العبادة ، حصل بها الثواب .

(٢) هو العام العاشر للهجرة النبوية .

ووصل ذلك النبأ إلى اليمن ، فعزم أبو موسى على أن يحج مع النبي ﷺ ، وأن يغتنم هذه الفرصة الثمينة ليقضي لبانته من رسول الله ﷺ ، فهو في شوق عظيم إليه ، فقد مضى على فراقه له ما يقرب من سنة ، ثم هو متعطش لعلم جديد ينهله منه ، ويضيفه إلى ما كان اكتسبه من قبل .

خرج أبو موسى من عمله في اليمن بعد أن استخلف عليه ، ومضى في طريقه مع عدد من الناس الذين خرجوا بصحبته يريدون الحج ، وقطع الركب تلك المسافة الطويلة، ووصل إلى مشارف مكة المكرمة ، وهناك فكر أبو موسى في الصورة التي يُحرم فيها بالحج ، وهداه تفكيره النيّر إلى أن ينوي بنية الرسول ﷺ فقال : « لبيك بإهلال كإهلال النبي ﷺ » ، ودخل مكة المكرمة ، وسأل عن النبي فقيل له : إنه بالأبطح ، فسعى اليه فوراً ، وما إن رآه حتى ابتهج قلبه ، وظهر السرور على وجهه وتقدم فسلم عليه ، ورحب به النبي ﷺ ، وبشّ له ، وسأله عن عمله في اليمن ، فأجابه عن كل ما سأله عنه ثم قال له :

« بم أهللت ؟ » فأجاب : قلت: لبيك بإهلال كإهلال النبي ﷺ ، وسُر النبي بهذا الجواب ، وأعجبه تصرف أبي موسى وفقهه ، فقال له : « أحسنت » ثم قال له : « هل سقت هدياً ؟ » فأجاب : ما فعلت ، فقال النبي ﷺ : « اذهب فطف بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم احلل » ، فأسرع وفعل ذلك .

وأقام أبو موسى في مكة بضعة أيام مع النبي ﷺ ، ثم أحرم بالحج مع من أحرم ، وانطلق هو والألوف الكثيرة صباح يوم التروية إلى مِنىً وراء نبيهم ومعلّمهم ، فباتوا بها ، ثم تابعوا السير صباح يوم التاسع من ذي الحجة ، إلى عرفة ، وهناك قضى أبو موسى يوماً مباركاً في العبادة والمناجاة والتجرد لله والدعاء له ، وأكثر من حمد الله وشكره على ما هداه إليه من نعمة الايمان ، ثم استمع مع من استمع إلى خطبة النبي التي ودع فيها الناس ـ وما علم هو ولا غيره أنها خطبة وداع حقيقي ـ ثم أفاض مع النبي ﷺ إلى المزدلفة ، ثم رمى الجمار في يوم النحر وفي أيام التشريق ، وبقي مؤتماً به إلى أن أتم حجه .

وجاء أبو موسى يستأذن النبي ﷺ في العودة لعمله ، وطلب منه أن يدعو له،ونظر يومها إلى النبي نظرة حب وإكبار طويلة وعميقة ، وشعر أنها لم تشفِ قلبه ، وما علم أبو موسى يومها سر تلك النظرة التي نظرها ، ولا سر تلك اللفتات التي كان يكثر منها بعد أن انطلق متطلعاً إلى جهة النبي ﷺ حتى غاب عن نظره ، ما علم يومها أنها آخر نظرة ينظرها إلى النبي الحبيب في الحياة الدنيا ، وإنما علم ذلك بعد أقل من ثلاثة شهور من ذلك التاريخ !! .

عاد أبو موسى إلى عمله في بلاد اليمن ، وقد تزود بزاد جديد من الايمان واليقين والعلم ، وشحن قلبه بطاقة جديدة من حب النبي ﷺ والحنين إليه ، وأخذ يعلم الناس ويقرئهم القرآن ، ويحكم فيهم بشرائع الاسلام . ونشط هو ومعاذ والأمراء الآخرون الذين أرسلهم النبي ﷺ إلى اليمن في الدعوة إلى الاسلام ، وبذلوا جهداً كبيراً في قبائلها ، وأقبل الناس على الاسلام ، وفتحت له القلوب .

وبينا أبو موسى ومعاذ وغيرهما من عمال النبي ﷺ على هذه الحال ، إذا بفتنة خطيرة تندلع نارها في بلاد اليمن ونجران ، ويشعل نارها متنبىء مشعوِذ ، بطاش جبار ، هو الأسود العنسي ، الكاهن الذي وسوس له شيطانه أن يدّعي النبوة ، فاستجاب له ، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها ، فاتبعته مَذْحِج ـ قبيلته ـ ثم استطاع التغلب على نجران وصنعاء ، بل لقد امتد سلطانه إلى مدى أوسع من هذا ، وحرّض الناس على الارتداد عن الاسلام ، فارتد قسم منهم واتبعوه على باطله ، وجعل يبطش بالمسلمين ، وأرسل وراء عمال النبي ﷺ يريد قتلهم .

واضطر معاذ بن جبل للهرب من وجه الأسود ، ومضى متخفياً حتى وصل إلى أبي موسى في مأرب ، فاقتحم الاثنان

حضرموت ، وانحاز الأمراء الآخرون إلى الطاهر بن أبي هالة ، وكان يومئذ في وسط بلاد عَكْ بحيال صنعاء .

وجاءت كتب النبي ﷺ إلى أمراء اليمن يحرضهم فيها على قتل الأسود ، فنشطوا للعمل وبدأت صلاتهم ومكاتباتهم لمقاومته والقضاء عليه ، وجعلوا يرسمون الخطط ويحكمون الأمور ، بينما شرع أبطال الاسلام المتخفين في صنعاء يدبرون أمورهم لتنفيذ هذه العملية ، والتخلص من هذا الشيطان الماكر .

وبعد وقت قصير استطاع البطل المؤمن الشجاع «فيروز الديلمي» وبمساعدة عدد من إخوانه قتل هذا المتنبىء الكذاب، وهزم المسلمون أصحابه وأجلوهم عن صنعاء ، ثم عن باقي اليمن ونجران ، وانتهت فتنته ، وعاد عمال النبي ﷺ إلى عملهم ، وحمدوا الله على التخلص من هذا الطاغية الماكر ، وجاء الوحي إلى رسول الله ﷺ بقتل الأسود ، فبشر أصحابه بذلك ، وفرحوا وحمدوا الله .

عاد إلى اليمن الهدوء بعد القضاء على فتنة الأسود ، واطمأنت القلوب بالاسلام ، وأخذ عمال النبي ﷺ يصلحون ما أفسد ذلك الطاغية ، وإنهم لكذلك إذا نبأ يطير في دنيا الجزيرة ، فتهتز له قلوب المؤمنين جزعاً ، وتدمع له العيون ، وتذهل له العقول :

إن رسول الله ﷺ قد مات ، فياللفجيعة الكبرى ، ويا للمصيبة العظمى !.

وشغل الناس ثانية بهذه الداهية ، وتحدث الناس في شأنها ، وتلقى بعضهم هذا النبأ الأليم ، بيقين المؤمنين ، وصبر الصابرين ، ورددوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . وزاغ من زاغ ، وقام أبو موسى وبقية العمال يفهمون الناس أن ما أصابه عليه الصلاة والسلام هو قضاء الله الذي قضاه على سائر خلقه ، وأن الله تعالى قد قال له من قبل : « إنك ميت وإنهم ميتون » .

وبذل هذا الأمير الموفق جهداً عظيماً في منع الناس من الفتنة بسبب موته ﷺ ، وكان ـ رغم أحزانه الكبيرة ولوعته العظيمة ـ يبدو أمام الناس ثابتاً صلباً ، لم تذهب المصيبة الكبيرة بلبّه ، يقول للناس حيثما حلّ : إن رسول الله ﷺ حدثنا يوماً فقال : « إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها ، فجعله لها فَرَطاً وسلفاً بين يديها(١) . وإذا أراد الله

---

(١) الفرط بمعنى الفارط : المتقدم إلى الماء ليهيىء السقي ، يريد أنه شفيع يتقدم . والسَّلف : هو المقدم ، من عطف المرادف أو أعم .

هَلَكة أمة عذّبها ونبيها حي ، فأهلكها وهو ينظر ، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعَصَوا أمره » .

وأخذ يثني على خليفة رسول الله خيراً ويقول للناس : إن أصحاب رسول الله قد اختاروا خيرهم ، وإن أبا بكر هو أفضل أصحاب النبي وأعظمهم إيماناً وأشدهم بلاءً في الاسلام، وهو خير من يقوم بأمر المسلمين بعد نبيهم .

وأحزنت وفاته ﷺ أبا موسى حزناً عظيماً ، فكان إذا أوى إلى بيته يسحّ الدموع غزيرة ، ويبكي حتى يسمع صوته، وكم تمنى لو أنه كان في المدينة لينظر نظرة الوداع من رسول الله ، ويومها فطن لِما كان جرى منه يوم حج مع النبي ، ونظر إليه نظرة طويلة بشغف وحنان ، وأحس كأن قلبه معلق به ﷺ ، يومها أدرك أن تلك النظرة كانت نظرة الوداع الأخير .



# أمير البصـــرة ومُعلّمها

## - ١ -

كانت فاجعة المسلمين بموت نبيهم ﷺ عظيمة جـداً ، فاشتد حزن الصحابة لفراقه ، وتفطّرت قلوبهم ، وتضاعفت أحزان أولئك الذين كانوا بعيدين عن المدينة يوم مات ، وتمنَّوا أن لو رأوه من قريب ، وكان من أولئك الذين فجعوا كثيراً : أبو موسى الأشعري ومعـاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم .

ومما زاد أحزان الصحابة جميعاً أن جزيرة العرب كلها تقريباً قد ارتدت عن الاسلام ، وبعضها امتنع عن أداء الزكاة ، وعجب أصحاب النبي لما جرى وتساءلوا : هل هناك ضـلال أبلغ من هذا الضلال !! قوم ساق الله إليهم الهداية ، وبعث فيهم خاتم أنبيائه بشيراً ونذيراً ، وحملهم أعظم الرسالات ، ثم يرفضون ذلك ؟!.

وسَمَا الأصحاب جميعاً فوق الآلام والأحزان، ولم يقعد بهم العجز ، وأثار فيهم خليفتهم الصدّيق عزة الاسلام من جديد ، وأعطاهم درساً عظيماً في الثبات والشجاعة ، حين أصر على مقاتلة الجميع : المرتدين ، ومانعي الزكاة ، وحين أصر على إمضاء بَعْث أسامة ، فحمل الصحابة السيوف في وجه المرتدين والمتنبئين الكذابين ومانعي الزكاة ، وجاهدوهم حتى أعادوهم إلى الحق ، وردوهم إلى الهدى .

وكان لأبي موسى دور في قتال المرتدين باليمن ثانية ، حتى إذا استتبت الأمور من جديد ، وقتل دعاة الشر، وسكنت النفوس ، وعاودت العقولُ رشدَها ؛ عاد أبو موسى يزرع الهداية في القلوب ، ويعمّق فيها إيمانها واعتقادها بالله وتعظيمها له ، ويؤدبها بآداب الاسلام وشرائعه ، ويطمئنها بآيات الكتاب العزيز ، يتلوه عليها ، فتلين له القلوب ، وتتشرب الأرواح هدايته وأنواره .

وبعث الخليفة الصدّيق كتاباً إلى أبي موسى يأمره فيه بالاستمرار في عمله ، ويحثه على بذل أقصى الجهد في نصح الأمة ، ورعايتها والسهر على راحتها . واستجاب أبو موسى للخليفة ، وبقي في بلاد اليمن عاملاً على الاقليم الذي ولاّه عليه رسول الله ﷺ ، واستمر في عمله طيلة أيام الصدّيق رضي الله عنه .

## - ٢ -

انتهت موجة الردّة ، وعادت قبائل العرب إلى الاسلام ، وقضي على فتنة المتنبئين الكذابين ، وأصدر الخليفة أمره للجيوش التي قاتلت المرتدين بالتوجه نحو مشارف العراق ، يحملون دعوة الاسلام إلى مَنْ هناك من قبائل العرب المتنصِّرة، وإلى الأعاجم من الفرس ، وسيّر كذلك أربعة جيوش إلى بلاد الشام ؛ لتؤدي الغرض نفسه في القبائل العربية المتنصرة وفي الأعاجم من الروم .

وأحرز المجاهدون المسلمون انتصارات عظيمة على من وقف في وجه الدعوة ، ووصلت أنباء هذه الانتصارات ـ ولا سيما انتصارات خالد بن الوليد في جبهة العراق ـ إلى كافة المسلمين في انحاء الجزيرة ففرحوا بذلك ، وتاقت النفوس للجهاد ، وظمئت الأرواح للشهادة في سبيل الله ؛ فخرج الناس من قبائلهم يريدون الجهاد ، والتحقوا بالغزاة في سبيل الله .

وفجع المسلمون ـ وهم في غمرة انتصاراتهم ـ بموت خليفتهم الصدّيق ولما يمضِ على استخلافه سنتان ونصف السنة، وقام بأمرهم خليفة جديد ، لا يقل في مواهبه وعظيم خصاله عن سلفه ، وكان هذا الخليفة الجديد هو أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان أهم مايشغل بال هذا الخليفة ،

الاستمرار في اندفـاع الجيوش الاسلاميـة ، التي خرجت تقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، لذا فما إن انتهى من دفن الصدّيق عشية اليوم الذي مات فيه ، حتى أصبح من غده يدعو الناس إلى الجهاد في سبيـل الله ، ويحضّضهـم على الالتحاق بصفوف المجاهدين .

وأرسل عمر إلى جميع القبائل يستنفرها ، وسمح لمن كان ارتد وعاود الإسلام بالالتحاق بالمقاتلين ، فانطلقت الألوف إلى جبهتي العراق والشام ، ونهدت قبـائل من اليمن إلى الجبهتين ، وبلـغ الشـوق للجهـاد في قلب أبي مـوسى الأشعري مبلغه ، وضاق ذرعاً ببقائه في اليمن ، فكتب إلى الخليفة عمر يستأذنه في ترك عمله والخروج مجاهداً ، ورجاه أن يسمح له بذلك ، فاستجاب له .

وترك أبو موسى عمله في اليمن بعد أن أقام فيه قريباً من أربعة أعوام ، وبعد أن أدى واجبه على أحسن ما يكون ، وبذل النصح خالصاً من قلبه . وتوجه إلى المدينة المنورة ، وقصدَ أول ما قصد المسجد النبوي ، فصلّى ركعتين ، ثم توجه إلى قبر النبي ﷺ فوقف هناك متأدباً ، فسلّم ، وذرف دموع الحب والحنين غزيرة، ثم سعى إلى الخليفة فسلّم عليه، وأقام في المدينة وقتاً قصيراً ، ثم استأذن الخليفة بالخروج إلى بلاد الشام مجاهداً ، فأذن له .

وفي بلاد الشام انضم أبو موسى إلى صفوف المجاهدين ، وشارك في الفتوح ، وقاتل الأعداء قتال الأبطال ، وفرح بـه قائد الجيوش الاسلامية أبو عبيدة بن الجراح ، فاستعان به على أموره ، وقربه منه ، وجعل يستشيره ويستنصحه ، فوجد منه خير مشير وناصح .

- ٣ -

بقي أبو موسى في بلاد الشام ما يزيد على ثلاث سنوات ، وشهد الكثير من معارك الفتح ، لازم خلالهـا الأمير الجليل أبا عبيدة ، وآثره على غيره ؛ لمـا يعلم من فضلـه وعبادتـه وزهادته ، ورفقه وأناته وتواضعه ، فسعد بصحبته ، وسعد أبو عبيدة به أيضاً .

وبينا أبو موسى يعيش في بلاد الشام إلى جانب الأمير أبي عبيدة ؛ جاءه كتاب أمير المؤمنين عمر :أن احضر إلى المدينة المنورة . ولم يكن بدّ من طاعة الخليفة، فودع أبا عبيدة وسائر اخوانه ، وعاد إلى المدينة المنورة .

وتلقى أمير المؤمنين عمر أبا موسى بالبشر وعانقه وقال له : اشتقنا إليك ، اجلس ذكرنا ربنا يا أبا موسى . وفهم أبو موسى ما يريده أمير المؤمنين ، فقد كان هو وسائرالصحابة

يحبون أن يسمعوا القرآن منه ، وكان عمر إذا أراد ذلك منه يقول له هذه الكلمة ، أو يقول له : شوّقنا إلى ربنا يا أبا موسى .

وأخذ أبو موسى يتلو آيات من القرآن بصوته الجميل ، وأهاج عمر ومن معه ، فلم يملكوا عيونهم ، فسالت منها الدموع غزيرة ، وجاء رجل يقول : الصلاة يا أمير المؤمنين ، ونظر إليه عمر وقال : ألسنا في صلاة . وأنهى أبو موسى قراءته ، بعد أن أثار القلوب ، ونشر على الأرواح نسائم الجنة، وقام الجميع إلى الصلاة .

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد عزل عامله على البصرة : المغيرة بن شعبة ، واحتاج إلى عامل يكون كفؤاً للعمل في هذا المِصْر العظيم من أمصار الاسلام ، الذي أصبح رباطاً من أهم أربطة جهاد المسلمين ، ينطلقون منه لفتح فارس ، والذي تجمع فيه عدد كبير من قبائل العرب واتخذوه موطناً ، وهداه تفكيره إلى أبي موسى الأشعري ، فاطمأن قلبه إليه ، وارتاحت نفسه لتولية هذا الرجل الشجاع المقرىء الفقيه التقي ، ولم يتردد في استعماله على ذلك المصر الكبير : البصرة .

وبعد أن أمضى أبو موسى بضعة أيام في المدينة أرسل إليه عمر فقال له : « يا أبا موسى إني مستعملك ، إني أبعث بك إلى أرض قد باض فيها الشيطان وفرّخ ، فالزم ماتعرف . ولا تستبدل فيستبدل الله بك » .

فقال أبو موسى : لا تفعل يا أمير المؤمنين .

فقال عمر : إن بها رباطاً وجهاداً .

فقال أبو موسى : فنعم إذن ، ولكن يا أمير المؤمنين ، أعنّي بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ، فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح ، لا يصلح الطعام إلا به .

فقال عمر : استعن بمن شئت .

ثم زوّده بوصاياه .

- ٤ -

خرج أبو موسى إلى عمله في البصرة سنة ١٧ للهجرة ، يركب جملاً أورق وهو يومئذ في شرخ الشباب وفي ذروة الرجولة والنضج .. كان يومئذ قد بلغ الخامسة والثلاثين من عمره يزينه عقل كبير ، وفهم دقيق ، وعلم غزير ، ونفس باسلة شجاعة ، ومروءة كاملة .

واصطحب أبو موسى معه عدداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم : أنس بن مالك خادم النبي ، وأخوه البراء بن مالك ، والبطل الشجاع مَجزأة بن ثور ، والصحابي الجليل عمران بن حُصَين ، وكذلك صحبه عدد من قبيلته الأشعريين .

وحين وصل الركب البصرة توجهأولماتوجهإلى المسجد الجامع ، وكانت صلاة العصر قد حضرت فقام أنس بن مالك فقال : أيها الناس ، هذا أبو موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ ، وقد بعثه أمير المؤمنين عمر عاملاً على مصركم وأميراً لكم ، وهو يوصيكم بالسمع والطاعة له .

فأجاب الناس : سمعنا وأطعنا .

وتقدم أبو موسى فصلّى بالناس العصر ودعا لهم .

وتفرق الناس بعد الصلاة ، وتحدثوا عن أميرهم الجديد، ووصفوه لمن لم يره بأنه رجل قصير ، خفيف الجسم ، رقيق الحاجبين ، وبدا من حديث الناس أنهم لم يعجبوا به ،فصفاته الجسمية لا تؤهله للإمارة ، ولكنه بعد صلاة المغرب والعشاء من ذلك اليوم حدث تبدل واضح في نظر أكثر الناس نحو هذا الأمير ، فلقد أدهشتهم قراءته للقرآن ، وأذاقتهم لذة الخشوع ، وشعروا وكأنهم في صلاتهم ينظرون إلى ربهم سبحانه ، فحضرت القلوب ، وسكنت الجوارح ، وذاقت النفوس حلاوة الايمان .

وكان اليوم التالي لوصول أبي موسى يوم الجمعة ، فاجتمع الناس للصلاة في المسجد الجامع ، وصعد الأميرالجديد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم وعظ الناس

موعظة بليغة ، رقّت لهـــا قلوبهم ، وذرفت لها عيونهم ، ثم قال لهم في ختام خطبته :

« أيهـــا النـاس ، إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم : أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، وآخذ من قويكم لضعيفكم ، وأقاتل بكم عدوكم ، وأدفع عن ذمتكم ، وأمضي لكم فيئكـم ثم أقسم بينكم ، وأنظف لكم طرقكم » .

وحثهم على الطاعة وتقوى الله ولزوم الجماعة ، ثم نزل فصلى بالناس .

وسمع أهل البصرة خطبة أميرهم الجديد وبيانه الذي تلاه على الناس وحدّد فيه مهام عمله فأعجبوا به أيما إعجاب ، وزال من نفوسهم ما علق بها أمس عن أميرهم من استهانـة به ، ورأوا فيه : عالماً جليلاً ، وواعظـاً حكيماً ، وخطيباً أريباً ، ومتكلماً منطيقاً .

وكان أشد ما أعجبهم منه بيانه القصير الموجز عن مهامه في عمالته ، ثم ازدادوا اعجاباً به حينما علموا أن الرجل كان من المقرّبين إلى رسول الله ﷺ ، وأنه قد عمل له في بلاد اليمن وأنه عمل لخليفته الصدّيق ، وأيقنوا أن أميرهم الجديـد سيوفق في تدبير شؤون مصره ، وسيحالفه التسديد والعون من الله ، لما يتمتع به من التقوى والطاعة والربانية .

## — ٥ —

سكن المسلمون البصرة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان من قصة نزولهم فيها أن عتبة بن غزوان القائد الفاتح استولى سنة ١٤ هـ على الأبلّة(١) : المرفأ الكبير الذي على البحر ، وهزم حاميته الفارسية ، ونزل المسلمون في موضع الحامية بعد أن تخرّب، فأطلقوا عليه اسم الخُرَيبة. ثم إن عتبة كتب إلى عمر يعلمه بنزوله إياها ، وأنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا ، ويكنسون (٢) فيه إذا انصرفوا من غزوهم .

وكتب عمر إلى عتبة : اجمع أصحابك في موضع واحد ، وليكن قريباً من الماء والمرعى ، واكتب اليّ بصفته .

وارتاد عتبة الأرض المجاورة للأبلة ، فوجد أرضاً كثيرة القضبة (٣) في طرف البر إلى الريف ، ودونها مناقع ماء ، فيها قصب كثير ، وأرسل إلى عمر بصفتها ، فلما قرأ الخليفة الكتاب أرسل إلى عتبة :

---

(١) يطلق على الأبلة اليوم : «أبو الخصيب» وهي متصلة بالبصرة .

(٢) يكنسون : يستترون .

(٣) القضب : العلف الرطب للدواب .

« هذه أرض نضرة ، قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب ، فأنزلها الناس » فنزلها عتبة ومن معه ، وسموها البصرة ، وبنى عتبة دار الإمارة وبنى مسجداً مقابلها بالقصب، وبنى الناس لأنفسهم بيوتاً من القصب فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ، وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فإذا رجعوا أعادوا بناءه .

وكثرت القبائل التي نزلت البصرة ، خصوصاً بعد وقعة القادسية وفتح المدائن ، وانخذال العجم ، ولم يزل حال البصرة هكذا حتى قدمها أبو موسى الأشعري ، فبنى المسجد من جديد باللبن والطين وزاد في مساحته ، وسقفه بالعشب، وبنى مقابله دار الإمارة بنفس الصفة ، ثم أمر كل قبيلة أن تسكن ناحية من البلد ، وأن تبني لنفسها (١) ، وتتخذ مسجداً ، وطلب إلى جميع القبائل أن تجتمع يوم الجمعة في المسجد الجامع ، وسكن هو وقبيلته قريباً من ذلك المسجد .

ثم نظر إلى زياد بن عبيد ، فأعجبه عقله وأدبه فاتخذه كاتباً ، وانصرف بجد ونشاط لمهامه الكبرى التي قدم من أجلها : تفقيه الناس ، سياستهم بالعدل والحزم ، الجهاد

---

(١) وفي رواية : أن القصب احترق مرة ، فاستأذن أهل البصرة عمر بالبناء باللبن ، فأذن لهم ، ففعلوا .

بهم ، واتخذ من الصحابي الجليل أنس بن مالك وزيراً ومشيراً وأميناً لأسراره وأموره ، واستعان ببقية الصحابة الأجلاءالذين حضروا معه ، واستشارهم ، واستنصحهم .

## - ٦ -

اهتم أبو موسى كثيراً بتعليم أهل البصرة أمور دينهم ، وكان أول أمر شغله في هذا المجال هو : الصلاة . فقد شاهد بعض الناس لا يحسنون أداءها على وجهها الصحيح ، فأخذ يعلّم الناس كيفية أدائها على وجهها الأكمل ، فيصلي أمامهم، ويصحح أخطاء الذين يسيؤون في صلاتهم ، وتنقل من أجل هذا الأمر في مساجد القبائل ، فصلّى فيها جميعها ، وحثّ الناس على حسن أداء الصلاة والعناية بها .

وفي يوم من الأيام صلّى أبو موسى بالمسجد الجامع بالناس إماماً ، فلما كان عند قعود التشهد الأخير ، قال رجل من المأمومين : « أقرّت الصلاة بالبر والزكاة » (١) .

---

(١) أقرت الصلاة بالبر والزكاة . وروي « قرت » بفتح القاف وتشديد الراء : أي استقرت معها ، وقرنت بها ، يعني أن الصلاة مقرونة بالبر وهو الصدق وجماع الخير وانها مقرونة بالزكاة في القرآن مذكورة معها .

وقضيت الصلاة ، والتفت أبو موسى إلى الناس، فقال: أيكم تكلم ونحن في العقود بالكلمة التي سمعتم ؟ فسكت القوم ولم يجيبوا ، وسكت قائل الكلمة استحياءً ، فقد سبق بها لسانه ، وسكت من حوله يريدون أن لا يفضحوه ، وسأل أبو موسى ثانية : أيكم القائل ؟ وسكت القوم ، ثم سأل الثالثة : أيكم القائل ؟ فقال رجل من القوم : أنا قلتها ، ولم أرد بها إلا الخير .

وظن بعض الناس أن الأمير سوف يقرّعه عليها ، لكنه ـ وهو المعلم الناصح ـ توجه إليه وإلى الجميع وقال لهم :

أما تعلمون كيف تقولون في صلاتكم ؟ إن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال :

« إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ، ثم ليؤمكم أحدكم ، فإذا كبّر فكبّروا . وإذا قال:غير المغضوب عليهم ولا الضالّين، فقولوا : آمين ، يجبكم الله (١) . فإذا كبَّر وركع فكبروا واركعوا . فإن الإمام يركع قبلكم ويرفع قبلكم . وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، يسمع الله لكم فإن الله تبارك وتعالى قال على لسان نبيه ﷺ : سمع

---

(١) يجبكم الله : أي يستجيب دعاءكم . وفيه حث عظيم على التأمين ، فيتأكد الاهتمام به .

الله لمن حمده . وإذا كبّر وسجد فكبروا واسجدوا ، فإن الامام يسجد قبلكم ويرفع قبلكم . وإذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم : التحيات الطيبات الصلوات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

وبعد أن انتهى من كلامه تقدم الرجل الذي تكلم في صلاته ، فشكره على تعليمه له ، واعتذر عما بدر منه ، وسر الناس من أميرهم المعلم ومن اهتمامه بعبادتهم ، ومن حسن أدبه في تعليمه ، ثم انصرفوا لشؤونهم .

- ٧ -

رغّب أبو موسى أهل البصرة بالاقبال على القرآن الكريم: تلاوة ، وحفظاً ، وتدبراً . وشوّقهم لذلك بما رواه لهم عن النبي ﷺ من الأحاديث المرغبة والتي تتحدث عن جزيل ثواب الله سبحانه لمن يتلو القرآن الحكيم ، وأكثر عليهم من ترداد هذه الكلمات النبوية التي سمعها من النبي ﷺ ومن اخوانه الصحابة :

« خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » .

« اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» .

« إن من إجلال الله عز وجل : اكرام ذي الشَّيْبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه (١) ، وإكرام ذي السلطان المقسِط » .

« إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » .

« إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن (٢) كالبيت الخرِب » .

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول : ألم حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وأقبل أهل البصرة على أبي موسى اقبالاً عظيماً ، وأخذ هو يعلمهم كتاب الله تعالى ، فيقرئهم إياه آية آية ، وسورة سورة ، حتى تستقيم ألسنتهم به ، ثم صار يفقههم في أحكامه ومعانيه .

وفي بداية أمره كان إذا صلّى بالناس صلاة الفجر ، ذكر الله بعض الوقت ، ثم التفت إلى الناس ، ودعاهم إليه رجلاً

---

(١) الغالي فيه : المجاوز حده . الجافي عنه : التارك لتلاوته ، البعيد عنه .

(٢) أي لا يحفظ شيئاً من القرآن .

رجلاً ، فيقرىء كل واحد آيات من القرآن ، ثم يستمع إليه وهو يتلوها ، ولا يدعه حتى يحسن تلاوتها .

وبعد مدة ، وبعد أن تخرج على يديه القرّاء المهرة ، قسم الناس إلى حلقات ، وجعل لكل حلقة عريفاً ممن أصبح يجيد التلاوة ، وصار هو يطوف على تلك الحلقات ، فيستمع لقراءة الناس ويراقب تعليم العرفاء ، ويصوّب ما يراه خطأ ، ويثني خيراً على من يحسن القراءة .

ومما زاد إقبال الناس على هذا الأمير المعلّم ، والمقرىء المجتهد ، حسن صوته ، وجمال قراءته، فكان الناس يصيخون السمع إليه ، وينصرفون أثناء قراءته عن الدنيا ، ويعيشون في سعادة روحية غامرة ، أو كانوا يشعرون وكأنما تهب عليهم نسمات الجنة إن تلا عليهم آيات فيها ذكر الجنة ، أما إذا تلا عليهم آيات فيها ذكر جهنم وما فيها من عذاب مقيم ، فكانت أبدانهم تقشعر وقلوبهم ترجف ، والخوف يملأ جوانحهم .

وكان يروي لهم قول النبي عليه الصلاة والسلام في التغني بالقرآن : « .. وما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن يجهر به » فكان الناس يقولون له : إنك تأتي أمراً أثنى الله على الأنبياء بصنعه ، فهنيئاً لك يا أبا موسى .

وقدم أبو عثمان النَّهْدي(١) يوماً البصرة ، فصلّى الفجر خلف أبي موسى ، فسمع قراءة لم يسمع بمثلها ، فقام من صباحه يهنىء أهل البصرة على أميرهم ، وذهب إلى أهل الكوفة ، فحدثهم عن جمال صوت أمير البصرة وقال لهم :

« ما سمعت مزماراً ، ولا طنبوراً ، ولا صنجاً ، أحسن من صوت أبي موسى الأشعري ، ولقد صلّى بنا الفجر في البصرة ، فوددتُ أنه قرأ البقرة من حسن صوته » .

## - ٨ -

اجتهد أبو موسى في إقراء أهل البصرة القرآن الكريم ، وأقبل عليه الناس إقبالاً شديداً ، واستطاع سبعة من تلاميذه النجباء أن يحفظوا القرآن عن ظهر قلب ، ولما يمضِ على ولايته شهران . وجاء كتاب من الخليفة عمر إلى أبي موسى يقول فيه :

« اكتب إليّ بمن قرأ القرآن ظاهراً » .

فكتب بأسمائهم إلى الخليفة ، ثم جاءه منه كتاب آخر يأمره بإيفادهم إليه ، فأوفدهم أبو موسى إلى المدينة المنّورة ، وكافأهم أمير المؤمنين ، ففرض لكل واحد منهم ألفي درهم ، وحثّهم على تعليم غيرهم في مصرهم .

---

(١) من كبار التابعين ، وممن أخذ عن أبي موسى في الكوفة فيما بعد .

ومضى وقت ، وأرسل الخليفة كتاباً آخر إلى أبي موسى يقول فيه :

« ارفع إليّ كل من حمل القرآن حتى ألحقهم في الشرف من العطاء ، وأرسلهم في الآفاق يعلمون الناس » .

وكتب إليه أبو موسى : إنه بلغ مَنْ قِبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضع رجال .

فكتب إليهم عمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر إلى عبد الله ابن قيس ومن معه من حملة القرآن .

سلام عليكم ، أما بعد :

فإن هذا القرآن كائن لكم أجراً ، وكائن لكم شرفاً وذخراً ، فاتبعوه ولا يتبعنّكم ؛ فإنه من اتبعه القرآن زخّ ـ دفع ـ في قفاه حتى يقذفه في النار ، ومن تبع القرآن ورد به القرآن جنات الفردوس ، فليكوننّ لكم شافعاً إن استطعتم ، ولا يكوننّ بكم ماحلاً ـ خصماً مجادلاً ـ فإنه من شفع له القرآن دخل الجنة ، ومن محل به القرآن دخل النار .

واعلموا أن هذا القرآن ينابيع الهدى وزهرة العلم ، وهو أحدث الكتب عهداً بالرحمن ، به يفتح الله أعيناً عمياً ،

وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً . واعلموا أن العبد إذا قام من الليل فتسوّك وتوضأ ثم كبر وقرأ ؛ وضع الملك فاه على فيه ويقول: اتلُ ، اتلُ ، فقد طبتَ وطاب لك . وإن توضأ ولم يستك حفظ عليه ولم يَعْدُ ذلك ، ألا وإن قراءة القرآن مع الصلاة كنز مكنون وخير موضوع ، فاستكثروا منه ما استطعتم ، فإن الصلاة نور ، والزكاة برهان ، والصبر ضياء ، والصوم جنة ، والقرآن حجة لكم أو عليكم .

فأكرموا القرآن ولا تهينوه ؛ فإن الله مكرم من أكرمه ومهين من أهانه ، واعلموا أنه من تلاه وحفظه وعمل به واتبع ما فيه كانت له عند الله دعوة مستجابة ، إن شاء عجّلها له في دنياه ، وإلا كانت ذخراً في الآخرة ، واعلموا أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .

– ٩ –

كثرعدد الذين أخذوا القرآن والحديث والفقه عن أبي موسى ، وأربا عددهم على المئات ، وكان من بينهم رجال من أعلام التابعين وأئمتهم ، نفعهم الله به نفعاً عظيماً ، وحملوا عنه علماً جليلاً ، وكان من هؤلاء :

أبو رجاء العُطاردي ، الذي عُمِّر طويلاً ، ووصف للأجيال من أهل البصرة تعليم أبي موسى لهم فقال : كان

أبو موسى يطوف علينا في هذا المسجد ـ مسجد البصرة ـ يقعد في حَلَقنا ، فكأني أنظر إليه في بُرْدَين أبيضين ، يقرئني القرآن ، ومنه أخذت هذه السورة « اقرأ باسم ربك الذي خلق » وهي أول سورة أنزلت على محمد رسول الله ﷺ .

وكان منهم : عامر بن عبد قيس ، وكان من الزهّاد العبّاد ، أصحاب الورع والفضل ، وممن لا تأخذه في الله لومة لائم . صاحب صدق وإخلاص في القول والعمل ، وكان أبو موسى يحبه ويتعهده برسائله ووصاياه .

وكان منهم : صفوان بن محرز التميمي ، الذي أخذ عن أبي موسى إلى جانب العلم الزهد ، فرجح على سائر خصاله ، ومن كلماته النيّرة في الاعراض عن متاع الدنيا :

**إذا دخلت بيتي ،وأكلت رغيفي ، وشربت عليه من الماء ، فعلى الدنيا العَفَاء .**

وغير هؤلاء كثير أخذوا من هذا المعلم الجليل والحَبْر الكبير .

وقد اهتم أبو موسى كل الاهتمام بطلابه الذين أخذوا عنه لا سيما قرّاء القرآن ، فكان يتعهدهم بين الحين والحين بالمواعظ الرقيقة ، ويحضهم على العمل إلى جانب العلم ، ويوصيهم بالإخلاص والصدق ، ومعالجة قلوبهم وحملها على الصدق بالنية .

أرسل مرة إلى القراء فدخل عليه المسجد ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال لهم :

« أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم ، فاتلوه ، ولا يطولنّ عليكم الأمد ، فتقسو قلوبكم ، كما قست قلوب من كان قبلكم » .

ونصحهم مرة أخرى فقال لهم :

« إن هذا القرآن كائن لكم أجراً أو كائن عليكم وزراً ، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنّكم ، فإن من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة ، ومن تبعه القرآنُ زَخّ في قفاه فقذفه في النار » .

ولم يكن أبو موسى يكثر عليهم الوعظ خشية أن يملثوا ، وكان يرى أن القرآن الذي في صدورهم خير واعظ لهم ، فكان يتعهدهم بين وقت وآخر ، وكان لمواعظه وقع مؤثر عند تلامذته ، فكانت توقظهم من غفلتهم ، وتزيد من يقظتهم ، وتجدد حياتهم .

## - ١٠ -

أخذ أبو موسى سائر أهل البصرة بالتعليم والتوجيه والتذكير ، فعلّم طلاب العلم القرآن ، والحديث والفقه ، وخطب سائر الناس على منبر المسجد الجامع بالخطب الجامعة

البليغة ، ووعظهم بالمواعظ المؤثرة ، وتنقل من أجل ذلك في مساجد القبائل ، يعظ أهلها ويذكرهم بالله واليوم الآخر.

ولقد أعجب الناس بكلامه ، فهو يجمع إلى صدق صاحبه وإخلاصه ، الوجازة والامتلاء بالمعاني ، ودقة الدلالة على المقصود ، حتى لقد قال فيه أحدهم :

ما كنا نشبه كلام أبي موسى إلا بالجزار ، الذي لايخطىء المفصل .

ولقد كان أهل البصرة يستظهرون خطبه لوجازتها ، وجوامع كلماتها :

خطبهم أول مقدمه البصرة فقال :

« يا أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل » . واهتم الناس لكلمته ، وضاقوا بها ، وجعلوا يتهامسون : أخفى من دبيب النمل ، فكيف نتقيه ؟!

وتكلم رجلان وأبو موسى على المنبر فقالا :

لتخرجنّ مما قلت أو لنأتينّ عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون !!

فقال أبو موسى : بل أخرجُ مما قلت . خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل » ، فقال له رجل : وكيف نتقيه وهو

أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ فقال : « قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بـك شيئاً نعلمه ونستغفـرك لمـا لا نعلمـه » .

واطمأن الناس عنـدها لكلامه ، وتابـع خطبته ، وتابع الناس إصغاءهم لها .

وخطبهم مرة ثانية فكان مما قاله :

« أيها الناس ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ، ثم يبكون الدماء ، حتى لو أجري فيها السفن لسارت .

ألا وإنما أهلك من كان قبلكم هذا الدينار والدرهم ، وهما مهلكاكم » .

وكانت خطبة بليغة، مؤثرة، أهاجت قلوب الناس جميعاً .

وفي إحدى أيام الجمع فوجىء الناس بأميرهم يعلو المنبر بلباس لم يألفوه عليه ، فقد كان يلبس للجمعة بردين أبيضين ، أما اليوم فهو يلبس عباءة خَلَقة ، ثم خطب الناس فأطال عليهم ، وقال لهم في جملة ما قال :

« أيها الناس ، من علّمه الله علماً فليعلّمه ، ولا يقولنَّ ما ليس به علم ، فيكون من المتكلفين ، ويمرق من الدين ، ألا وإن الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحـدة خـير

من الجليس السوء . ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر ، إلاّ يَحْذُكَ ـ يعطك ـ يعبق بك من ريحه . وإن مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إلاّ يحرق ثيابك يعبق من ريحه . ألا وإنما سمي القلب من تقلبه . وإن مثل القلب كمثل ريشة بأرضٍ فضاء تضربها الريح ظهراً لبطن . ألا وإن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، والقاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من الراكب .

وسأله سائل : فماذا تأمرنا ؟ فقال : كونوا أحْلاس البيوت (١) .

ثم ختم خطبته بقوله : ألا وإنه بلغني أن قوماً يمنعهم من حضور الجمعة أن ليس لهم ثياب ، ألا فليعلموا أن الله لا ينظر إلى صورهم وأجسادهم ولكن ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم » . ونزل وصلّى بالناس .

وفطن الكثيرون يومها لصنيعه في ثيابه التي صعد بها المنبر ، وكان عمله هذا درساً بليغاً سما فيه على قوله ، واستطاع هذا المعلم اللبيب بعد ذلك أن يشد أولئك إلى المسجد غير مبالين بما عليهم من ثياب،ونفعهم الله بعمله وقوله.

---

(١) أحلاس البيوت : جمع حِلْس وهو ما يبسط في البيوت ، أي الزموا بيوتكم .

## - ١١ -

كانت رعية أبي موسى كثيرة ، وكان الناس يلجؤون إليه في حل خصوماتهم ، فهو الأمير والقاضي ، وهو المعلم والمفتي . ووضع هو نصب عينيه في القضاء الرجوع أولاً إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن لم يجد فيهما حكماً للقضية المعروضة عليه صار يجتهد في إيجاد حكم يتفق مع مبادى هذين المصدرين العظيمين للشريعة .

وكان لا يقضي بين الناس حتى يتفهم القضية تفهماً تاماً ، ويسمع من سائر الخصوم ومن الشهود ، وقد جعل لنفسه مبدأ في هذا الشأن في كلمة نقلت عنه وهي :

**« لا ينبغي للقاضي أن يقضي حتى يتبين له الحق كما يتبين الليل من النهار » .**

وحين بلغت هذه الكلمة أمير المؤمنين عمر قال : صدق أبو موسى !!

وكان كثير الرجوع إلى أمير المؤمنين ، يستشيره أحياناً قبل أن يقضي في بعض الخصومات ، ويعرض عليه أحياناً أقضية حكم بها ، وسرّ عمر بصنيعه ، وأثنى عليه ، ثم خصه بكتاب في القضاء ، فيه أمهات المبادىء في هذا الجانب الخطير من حياة الناس ، وهذا نصه :

« من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلى عبد الله ابن قيس :

سلام عليك ، أما بعد :

فإن القضاء فريضةٌ محكمةٌ ، وسنةٌ متبعةٌ ، فافهم إذا أدليَ إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

آس بين الناس(١) في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حَيْفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .

البينة على من ادّعى ، واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً .

ولا يمنعنَّك قضاء قضيتَه بالأمس ، فراجعت فيه عقلك ، وهُديت لرشدك ؛ أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خيرٌ من التمادي في الباطل .

الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، وقِسِ الأمور عند ذلك ، واعمِد إلى أشبهها بالحق .

واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أو بيّنة أمداً ينتهي إليه ،

---

(١) آس بين الناس : سوِّ بينهم .

فإن أحضر بينةً أخذت له بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية؛ فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى .

المسلمون عدولٌ بعضهم على بعض ؛ إلا مجلوداً في حدٍّ ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظِنِّيناً في ولاء أو نسب ؛ فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالأيمان والبينات .

وإياك والقَلَق (١) والضجر ، والتأذي بالخصوم ، والنكر عند الخصومات ؛ فإن الحق في مواطن الحق يُعظم الله به الأجر ، ويُحسن به الذُّخْر ، فمن صحّت نيته ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه، شانه الله (٢)؛ فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته ؟! والسلام » .

- ١٢ -

كان أبو موسى من نجباء عمال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان يحبه كثيراً ، ويتشبه به في قوله وفعله ، ويطلب منــه النصيحة دائماً ، فكان أمير المؤمنين يستجيب له ويكتب له الوصايا الرائعة .

---

(١) القلق : ضيق الصدر وقلة الصبر .

(٢) شانه : عابه .

كتب إليه مرة : «أما بعد، فإن للناس نفرة من سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركني وإياك ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا حضر أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخفِ الفسّاق ، واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً (١) ، عُدْ مريض المسلمين ، واحضر جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم ؛ غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً ... واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقيت به رعيته » .

وكتب إليه مرة ثانية :

« أما بعد ، فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغدٍ ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلاتدرون أيها تأخذون ، فأضعتم . فإن خيرتم بين أمرين : أحدهما للدنيا والآخر للآخرة ، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى . كونوا من الله على وَجَل ، وتعلّموا كتاب الله ، فإنه ينابيع العلوم وربيع القلوب » .

وكان عمر رضي الله عنه يسره صنيع أبي موسى في مِصْره ، ويعرف له قدره ويحبه ويكثر السؤال عنه .

---

(١) أي فرقهم ، فإنهم ان اجتمعوا وسوس الشيطان بينهم بالشر .

قدم عليه مرة أنس بن مالك موفداً من قبل أبي موسى ، فسأله : كيف تركت الأشعري ؟ فأجاب : تركته يعلم الناس القرآن ، فقال عمر :

**أما إنه كبير !!**

ولا تسمعها إياه .

ثم سأله عن سياسته لرعيته ، فأخبره أنه ساهر عليهم، يؤدبهم بآداب الاسلام ، ويحكم فيهم بشرائعه ، يزجر العاصي ويثيب المطيع ، ثم أخبره أنه جلد النابغة الجعدي الشاعر خمسين جلدة ، حين سمعه يصرخ في قومه : ( يا لَعامر ) .

وسر عمر لهذا النبأ سروراً بالغاً وقال :

جزى الله عبد الله بن قيس خيراً ، فإن رسول الله ﷺ قال : « دعوها فإنها منتنة » (١) .



(١) أي دعوى الجاهلية باستصراخ العشيرة وإثارة الحمية فيهم ضد إخوانهم وإثارة العصبية .

# الفَاتح المجَاهِد

## - ١ -

لم تشغل إدارة شؤون البصرة ومهام التعليم والقضاء أبا موسى عن مهمة كبرى أرسل من أجلها ، ألا وهي مهمة الجهاد والفتح في الجبهة الفارسية .

ولقد أمضى — رضي الله عنه — في إمرة البصرة اثني عشر عاماً في عهد الخليفتين : عمر وعثمان ، ولم يدع الجهاد في سنة من هذه السنوات ، بل كنت تراه دائماً : مجاهداً شجاعاً ، وقائداً حكيماً ، يقود الجيوش من بلد إلى بلد ، ومن إقليم إلى إقليم ، ومن معركة إلى معركة ، وكان من نجباء المدرسة المحمدية ، الذين تعلموا فيها إلى جانب الإيمان واليقين ، والطاعة والاستقامة ، البطولة والجهاد والتضحية.

كانت دولة الفرس زمان تولّيه إمرة البصرة قد تلقّت ضربات موجعة ، في معركة القادسية وفي المدائن ، وفقدت من يدها العراق العربي ، وكان ملكها « يزدجرد » قد ترك عاصمة ملكه المدائن وترك كنوزه ، وهرب أمام الزحف الإسلامي ،

واستولى المسلمون على العاصمة ودخل قائدهم سعد بن أبي وقاص إيوان كسرى وصلى فيه صلاة الفتح وقرأ :

« كم تركوا من جناتٍ وعيون ، وزروعٍ ومقام كريمٍ ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين» .

ومع هذه الضربات الموجعة ، فقد بقي بيد الدولة الفارسية أقاليم كثيرة ، وبلاد واسعة ، ومدن عامرة ، وقوة يستطيعون بها مناوشة المسلمين ، بل وتوجيه الضربات لهم ؛ لذا كان لا بد من مواصلة الجهاد ، ولا بد أن تنطلق من المعسكرين الاسلاميين الكبيرين في العراق : الكوفة والبصرة ، جنود الفتح لتواصل عملها في هزيمة الكافرين .

وكانت البصرة بسبب موقعها ثغراً يفوق في أهميته الاستراتيجية ثغر الكوفة ، فقد كان عليها بسبب قيامها على البحر ومجاورتها للأهواز وبلاد المشرق أن تقوم بدور كبير في الجهاد والتوغل في بلاد فارس ، والقضاء على بؤر التمرد ، التي كانت كثيراً ما تنقض العهود ، وتلغي الصلح المبرم ، يدفعها إلى ذلك بقاء ملك الفرس « يزدجرد » على قيد الحياة ، والأمل في استرداد ما فقدوه من البلاد .

وكان يجاور البصرة إقليم كبير وعظيم من أقاليم بلاد فارس ، يعتبره الفرس درّة من أغلى الدرر في تاج الأكاسرة ، هو إقليم « خوزستان » أو « الأهواز » ، وقد تألف هذا الإقليم

من سبعة أقاليم ، فيها مدن عامرة بالسكان والتجارة ، ولها مكانة عظيمة عند الفرس جميعاً . أما عاصمة هذا الاقليم الكبرى فهي « تُستر » (١) المدينة التاريخية ذائعة الصيت ، ومعقل الفرس الأمنع في الجنوب الغربي من سهل إيران .

وظل القائد البطل أبو موسى يغدو ويروح في هذا الإقليم عدة سنوات يفتح بلاده ، ويؤدب المتمردين ، ويعيد الفتح ، إلى أن تمّ إخضاعه تماماً بفتح حاضرته « تستر » وماجاورها من البلاد عام ٢٠ للهجرة ، ولقد سجل له تاريخ الفتوح جولات كثيرة ، ومعارك عظيمة في هذا الإقليم ، حتى لقد اعتبره المؤرخون الفاتح الحقيقي له ، وإن شاركه غيره من القادة ، كما سجل له جولات أخرى في أقاليم الامبراطورية الفارسية ، وبلاد الجزيرة طيلة عمله في البصرة .

- ٢ -

لم يطل المقام بأبي موسى في مدينة البصرة بعد ولايته عليها حتى نهد للجهاد في سبيل الله ، فبعد خمسة أشهر من قدومه والياً سنة ١٧ للهجرة ، وبعد أن صرف عناية كبيرة في تدبير شؤون البلد وإدارته وتعليم أهله ، انطلق منها

---

(١) يقال لها الآن : شوستر . وششتر .

واستخلف عليها الصحابي الجليل عمران بن حصين ، وبـدأ جولاته في اقليم الأهواز .

وكان الأمير السابق : المغيرة بن شعبة ، قد فتح بلاداً من هذا الاقليم ، بعضها عَنْوة ، وبعضها صلحاً ، إلا أنهـا انتقضت جميعها ، بعـد أن رأت أن المسلمين لـم يتعقبوا الفرس بعد هزيمة القادسية والمدائن ، وبعد أن ثار في ذلك الإقليم قائد فارسي شجاع هو « الهرمزان »(١) فملّكه الناس عليهم ، وأخذ هو يؤلبهم على المسلمين ، ويحمّسهـم على قتالهم ، ويحيي الأمل في قلوبهم في استرجاع ما فقدوه من مملكتهم .

قاد أبو موسى الجيش ودخل إقليم الأهواز ، فلم يزل يفتح رستاقاً رستاقاً ، ونهراً نهراً ،والأعاجم تهرب من بين يديه ، إلى أن وصل إلى سوق الأهواز ــ وكانت حاضرة كبيرة من حواضر هذا الإقليم ــ فحاصرها ، فاستعصى صاحبهـا « البيرواز » فشدّد أبو موسى الحصار ، فاستسلم الفرس ، ودخل المسلمون المدينة ، وغنموا غنائم كبيرة ، ثـم فتـح أبو موسى نهر « تيرى » عَنْوة ودخل مدينة « بيروز » .

---

(١) كان قد هرب من معركة القادسية ، ونجا من الموت.

بعد ذلك توجه إلى المدينة الحصينة «مناذر» فحاصرها، فاستمات أهلها في الدفاع عنها ، وقابلهم المسلمون بعزيمة قوية ، وصابروهم ، وحضهم قائدهم على الموت في سبيل الله ، فعقدوا العزم على طلب الشهادة ، وظهرت منهم بطولات عجيبة وصبر عظيم . وسعى صباح يوم من أيام الحصار إلى أبي موسى الربيعُ بن زياد ــ وكان من رجاله الذين يعتمد عليهم ــ فقال له : إن أخي المهاجر عزم على الشهادة وهو صائم ، فقام أبو موسى ، ونادى في جنده :

« عزمتُ على كل صائم أن يفطر ، أو لا يخرج إلى القتال » .

واستجاب المهاجر لعزيمة أميره ، فشرب شربة ماء ، وقال : أبررت عزمة أميري ، واللهِ ما شربتها من عطش ، ثم حمل سلاحه ، فقاتل حتى استشهد ــ رحمه الله ــ وأخذ « أهل مناذر » رأسه فنصبوه على قصرهم بين شرفتين .

واشتدت عزيمة المسلمين بعد استشهاد « المهاجر » فضايقوا أعداءهم ، وخشي أبو موسى أن يأتي الأعداءَ المددُ من الفرس ، فرأى أن يدب الرعب في قلوب البلاد القريبة من « مناذر » ، فخلّف على الحصار الربيع بن زياد ، وسار هو إلى « السوس » فحاصرها ومنع أهلها من إمداد جيرانهم .

واستطاع الربيع بعد ذلك فتح « مناذر » عَنْوة ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية ، ودخل المسلمون المدينة ، وجاء البشير إلى أبي موسى ، فولى على المدينة عاصم بن قيس بن الصلت السلمي ، وولى على سوق الأهواز سَمُرة بن جندب الفزاري ، ثم عاد إلى البصرة بعد أن فتح الأهواز ، عدا « السوس ، ورامهرمز ، وتستر » .

- ٣ -

فعلت الوقائع التي أوقعها أبو موسى وجنوده عام ١٧ هـ فعلها في نفوس أهل الأهواز ، فانكسرت شوكتهم ، وانقمع الهرمزان صاحب « تستر » فكف عن مناوشة المسلمين ؛ مما هيأ لأبي موسى الجهاد في جبهة أخرى ، فاتجه بجنود من أهل البصرة عام ١٨ للهجرة إلى شمالي العراق ، وشارك في فتح الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات .

وهناك في شمال العراق التقى الصحابيان الجليلان والقائدان البطلان : أبو موسى الأشعري وعياض بن غنم الفِهْري القرشي ، وتعاونا على فتح تلك البلاد . وكان عياض توجه إلى الجزيرة بأمر أبي عبيدة بن الجراح قائد الجيوش الاسلامية في بلاد الشام . وكان أبو موسى قد سبق عياضاً إلى تلك البلاد ، فافتتح : الرها ، وسميساط ، وما والاهما ،

ثم مضى معه عياض فافتتحا : حرّان ، ونَصِيبين ، وطوائف الجزيـرة .

ثم حاصر أبو موسى ( دارا ) واشتد الحصـار عليهـا ، واضطر القائد الفقيه لأن يصلي بجنده صلاة الخوف ، التي كان قد تعلمها من رسول الله ﷺ عام سبعة للهجرة في غزاة « ذات الرقاع » وفوّت بذلك على مشركي ( دارا ) أن يأخذوه وجنده على غِرّة .

وعاد أبو موسى من شمالي العراق إلى جنوبه ، فمكث فترة قصيرة في حاضرة إمارته : البصرة ، ثم جـال جـولة واسعة بجنوده في بلاد الأهواز التي أخضعها في العام الفائت ووصل بجولته إلى تستر ، فحاصرها قليلاً ، ثم ترك عندها بعض جنوده ، في انتظار الجولة الحاسمة مع قائدها المتمرد : الهرمزان .

– ٤ –

لم ييأس الملك الفارسي المهزوم « يزدجرد » رغم هزيمته في العراق وهزيمة قومه في الأهواز ، وبقي أمامـه أمـل في استرداد ملكه من هؤلاء الذين كان قومه يحتقرونهم في الجاهلية أيّما احتقار ، وكتب إلى رؤساء مملكته وإلى جميع شعبـه عام ١٩ للهجرة كتاباً يقول فيه :

« ... رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبكم العرب على السواد وما والاه من الأهواز ؟! ثم لم يرضَوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم؛ فتحركوا أهل فارس تنتصروا».

وقوّى هذا الكتاب من عزيمة أمراء الفرس ، لا سيما الهرمزان صاحب « تستر » فتكاتب مع بقية الأمراء ، ليخوضوها معركة حامية مع المسلمين في الأهواز فيطردوهم منه، وشجع أهل رامهرمز فنقضوا عهدهم وأظهروا عداوتهم.

وعلم المسلمون بذلك فأرسلوا إلى خليفتهم عمر يخبرونه بكتاب ملك فارس إلى قومه ، وبما يخطط له الهرمزان ، وبتشجيعه أهل الأهواز على الانتقاض ، فجاء كتاب الخليفة إلى القائدين الكبيرين : سعد بن أبي وقاص ، وأبي موسى الأشعري ، يطلب منهما أن يرسل كل واحد منهما جنداً كثيفاً فيه أبطال الناس ، ليصفوا الحساب مع الهرمزان ويفتتحوا مدينته « تستر » وأن يكون على الجندَين جميعاً أبو سَبْرة بن أبي رهم .

وانطلق جند الكوفة بقيادة النعمان بن مُقَرِّن ، وسار مجتازاً أرض الأهواز إلى « رامهرمز » ليلقى فيها الهرمزان ، فلما علم به الهرمزان نَهَد يلقاه في « أربك » في جيش عظيم ، لكنه تراجع أمام بأس المسلمين في « رامهرمز » ثم إلى «تستر»

فتحصن بها ، وتابع النعمان سيره ففتح « رامهرمز » ثم حاصر تستر .

أما جند البصرة فقد انطلقوا بقيادة سهل بن عدي ، وساروا في الأهواز حتى وصلوا « تستر » فوجدوا أن جند الكوفة قد سبقوهم إليها ، وهناك في تستر التقى المجاهدون ، وتوحد الجندان بقيادة أبي سبرة بن أبي رهم .

كان الجيش المسلم متشوقاً لفتح هذه المدينة والقضاء على ملكها الغادر ، وقد اجتمع في هذا الجيش الأبطال الشجعان ، والقادة ، وسادات الناس من أمثال : البراء بن مالك ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن سور ، وعمار بن ياسر ، وجرير بن عبد الله البجلي ، والبراء بن عازب ، وحذيفة بن اليمان ، والأحنف بن قيس ، وقَرَظة بن كعب الأنصاري ، والنعمان بن مُقَرِّن ، وسويد بن مقرن ، وسهل بن عدي ، والقائد الفاتح البطل أبو سبرة بن أبي رهم ، وعاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وربعي بن عامر.

كانت تستر مدينة حصينة جداً ، قد امتلأت بعدد كبير من الجنود الذين قدموا عليها من شتى أرجاء المملكة الفارسية، يقودهم جميعاً بطل شجاع ، قد مارس الحروب وثقفها ، هو « الهرمزان » . وحاصر المسلمون المدينة وشددوا الحصار عليها ، واضطروا الفرسَ مراراً لفتح أبواب المدينة والخروج

منها لقتال المسلمين ، وكانت الدائرة تدور عليهم في أكثر المرات ، فيلوذون بمدينتهم ويغلقون الأبواب ، وقد صُرع خلال تلك الجولات المئات من أبطالهم في المبارزة على أيدي أبطال المسلمين وكماتهم .

وطال الحصار واستبسل المسلمون كثيراً ، وبذلوا كل ما عندهم من تضحيات ، وصمد الفرس واستماتوا في الدفاع عن مدينتهم ، فقد كانوا على يقين أن سقوطها يعني سقوط إقليم الأهواز بكامله . واستعمل الطرفان كل ما عندهم من فنون القتال وأدواته ، وكان منها كلاليب الحديد المحمَّى بالنار التي كان يلقيها الفرس من فوق أسوار مدينتهم ، وينتشلون بها رجالاً من المسلمين ، وقد علقت هذه الكلاليب مرة بالصحابي الجليل أنس بن مالك ، ورفعه الأعداء إلى السور إلا أن بطولة أخيه البراء هي التي أنجته من الموت المحقق .

ومضى عام ١٩ للهجرة والمسلمون لا يزالون يحاصرون « تستر » ولما تفتح عليهم ، وطال الحصار واشتد قلق الخليفة لذلك ، وكتب إليه أبو سبرة بن أبي رهم يستمده ، عندها كتب عمر إلى أبي موسى ليسير إلى « تستر » ، فيكون أمير الجند جميعاً ، وطلب إليه أن يعجل بالفتح حتى لا يسأم المسلمون ، وأوصاه وجنده بتقوى الله وطلب النصر منه .

سار أبو موسى إلى تستر بجند جديد ، واستلم قيادة الجيش المسلم ، فقويت به معنويات الجنود المسلمين ، وفتَّ ذلك في عضد المشركين ، وتشاءموا من قدوم أبي موسى ، فهو القائد الذي كان أخضعهم من قبل ، وهو الذي فتح أكثر بلاد اقليمهم .

وتجددت المعارك من جديد ، وحميت نارها ، واصطلى الفريقان بحرّها ، واستطاع البراء بن مالك قتل مائة من صناديد الفرس مبارزة في أيام متوالية ، فملأ ذلك قلوبهم غيظاً ورعباً ، وأحكم القائد أبو موسى الحصار الشديد على المدينة ، واضطر للجمع بين صلاتي الظهر والعصر عدة مرات ، وأعيى هذا الحصار الشديد هذه المدينة حتى يئس أهلها ، وملَّ المدافعون عنها .

وفي تلك الأثناء خرج من المدينة في جوف الليل رجل من الفرس ، ودخل معسكر المسلمين ، وطلب الأمان ، وأن يُدلَّ على أمير المسلمين ، فأخذه الجند إلى أبي موسى ، فقال له : أسألك أن تحقن دمي ودماء أهل بيتي ، وتخلّي لنا أموالنا ومساكننا على أن أدلك على المدخل ، فأجابه : ذلك لك ، فقال الفارسي : ابغني إنساناً سابحاً ذا عقل يأتيك بأمر بين ، فأرسل أبو موسى إلى مجزأة بن ثور السدوسي ، وقال له : ابغني رجلاً من قومك سابحاً ذا عقل ، فقال مجزأة : اجعلني ذلك الرجل ، فانطلق به فأدخله من مدخل الماء ، مدخلاً

يضيق أحياناً حتى ينبطح على بطنه ، ويتسع أحياناً فيمشي قائماً ، ويحبو في بعض ذلك ، حتى دخل المدينة . وقد أمره أبو موسى أن يحفظ طريق الباب ـ باب المدينة ـ وطريق السور ، ومنزل الهرمزان ، وقال : لا تسبقني بأمر ، فانطلق به الفارسي حتى أتى الهرمزان ، فهمّ بقتله ، ثم ذكر قول أبي موسى لا تسبقني بأمر ، فرجع إلى أبي موسى ، فندب الناس معه ، فانتدب ثلاثمائة ونيف ، فأمرهم أن يلبس الرجل ثوبين لا يزيد عليهما وسيفه . ونزل مجزأة في الماء ونزلوا وراءه كأنهم البط ، فسبحوا حتى جاوزوا ، ثم انطلق بهم إلى النقب الذي يدخل الماء منه ، وكبر ثم دخل معه خمسة وثلاثون رجلاً ، فمضى بطائفة منهم إلى الباب فوضعهم عليه ، ومضى بطائفة إلى السور ، ومضى بمن بقي معه حتى صعد السور، وكبر المسلمون على السور وعلى الباب، وفتحوا الباب ، وأقبل المسلمون فدخلوا المدينة قبل طلوع الفجر من يوم الأربعاء ، وفزع أهل تستر للذي سمعوا ورأوا ، ودارت معركة حامية في شوارع المدينة وطرقاتها وساحاتها ، وأبلى المسلمون بلاء حسناً ، وقاتل أهل تستر قتال المستميت ، وشغل المسلمون عن صلاة الفجر ، فلم يستطيعوا أداءها لما كانوا فيه من القتال ، واستمروا يضربون في أعدائهم حتى تم لهم النصر المبين ، وما صلوا الفجر حتى انتصف النهار .

أما الهرمزان فإنه لما سمع التكبير أذهله الأمر ، واندفع إلى المسلمين كالأسد المعقور يريد أن يرد الهزيمة ، وتصدّى له البراء بن مالك ، فقضى شهيداً رحمه الله ، ثم تصدى له مجزأة بن ثور فقتل أيضاً رحمه الله ، وأحس الهرمزان وكأنه انتصف لنفسه وقومه بمقتل هذين الفارسين ، فهرب إلى قلعة له ، وتبعه المسلمون . فخاطبهم من على السور : إن معي جعبة فيها مائة سهم ، وإنه لا يتقدم إلي أحد منكم إلا رميته بسهم فقتلته ، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم ، فماذا ينفعكم إن أسرتموني بعدما قتلت منكم مائة رجل ؟ فقال له المسلمون : فماذا تريد ؟ فقال : تؤمنوني على نفسي وأهلي.

وسعى رجلان إلى أبي موسى يخبرانه بخبر الهرمزان ــ وكان أبو موسى قد أصيب بسهم أثناء اقتحام المدينة فجرح جرحاً كبيراً ــ فحكيا له قولة الهرمزان ، فقال لهما : أخبراه أنا لانعطيه الأمان إلا على حكم عمر خليفتنا ، فإن رضي فأوثقوه رباطاً وأتوني به . ورضي الهرمزان بحكم عمر فيه ، فنزل من قلعته ، وألقى قوسه ونشّابه ، وأتى المسلمين ، فشدوه وثاقاً ثم جاؤوا به إلى أبي موسى . ثم أمر أبو موسى بقتل من كان في القلعة ممن لا أمان له ، وغنم المسلمون ما في البلد ، وتم لهم فتحها بعد ذلك الحصار الطويل ،

وكتب الله شرف قيادة هذا الفتح لهذا الصحابي المجاهد أبي موسى الأشعري رحمه الله (١) .

أما الهرمزان فقد أرسل به أبو موسى إلى الخليفة مع أنس بن مالك ، فلما مثل بين يديه في المدينة قال له عمر :

« هيه يا هرمزان ! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟! » .

فأجابه الهرمزان :

يا عمر ، كنّا وإياكم في الجاهلية وقد خلّى الله بيننا وبينكم ، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا .

فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا، والآن فما عذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة ؟ !.

---

(١) ذكر الطبري أن قائد الفتح هو أبو سبرة الذي عينه عمر اولاً ، وذكر خليفة بن خياط والبلاذري وهما مؤرخان متقدمان على الطبري أن القائد هو أبو موسى، وكذا ذكر الامام الذهبي في كتابه العبر ، ومما يدل على أن أبا موسى كان هو القائد العام للجيش أن ذلك الفارسي الذي جاء مستسلماً ودل المسلمين على عورة المدينة ، جيء به إلى أبي موسى ، وكذلك حين استسلم الهرمزان جيء به اليه ، وكان هو الذي أرسل به إلى عمر .

ورأى الهرمزان الغضب في وجه عمر ، فقال له : « أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك » فقال عمر : لاتخف ذلك .

وهنا طلب الهرمزان ماءً ليشرب ، فقدّم له الماء في قدح غليظ ، فقال: لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا . فأتي به في إناء يرضاه ، فلما أخذه ارتجفت يده وقال ثانية : أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء ، فقال : لا بأس عليك حتى تشربه ، فأراق الهرمزان الماء ولم يشرب ، وقال عمر : أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش ، فقال الهرمزان : لاحاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستأمن به .

وأمر به عمر ليقتل ، فقال الهرمزان : قد آمنتني ! فقال عمر : كذبت ، فقال أنس بن مالك : صَدَقَ يا أمير المؤمنين ، قد آمنته .

فقال عمر : ويحك يا أنس ؟ أنا أؤمّن قاتل مجزأة والبراء ؟ والله لتأتيني بمخرج أو لأعاقبنّك !.

فقال أنس : قلتَ له : لا بأس حتى تخبرني ، وقلت له : لا بأس حتى تشربه .

ووافق من كان حاضراً على كلام أنس ، ونظر عمر مغضباً إلى الهرمزان وقال له : « خدعتني !! والله لا أنخدع إلا لمسلم » وأسلم الهرمزان ، وفرض له عمر عطاءً ، وأنزله المدينة .

## — ٥ —

بعد أن أتم أبو موسى فتح « تستر » عام ٢٠ للهجرة ، اتجه إلى مدينة « السوس » الواقعة إلى الغرب من تستر وعلى بضعة فراسخ منها ، وكان أهلها يناوشون المسلمين أثناء حصارهم لتستر ، فقاتل أبو موسى أهلها ، فتراجعوا إلى مدينتهم ، وأغلقوا أبوابها ، وحاصرهم المسلمون وأصابهم العنت في ذلك الحصار ، وأخيراً نفد طعام أهل المدينة ، فلم يجد دهقانها بدأ من الاستسلام ، فطلب من قائد جيش المسلمين أن يؤمنه على حياة مائة من أهله ويفتح المدينة ، فقبل أبو موسى ، وقال له : اعزلهم . فجعل يعزلهم واحداً واحداً، وأبو موسى يقول لأصحابه : إني لأرجو أن يغلبه الله على نفسه ، فينسى نفسه ! وكان ما تمناه أبو موسى ، فعزل مائة ولم يفطن لنفسه ، فأمر به أبو موسى فاقتيد ، فصاح : أين العهد ؟! فأجابه أبو موسى : نحن على العهد ، طلبت أن نؤمن لك مائة ، ففعلنا ، ولم تدخل نفسك في الأمان،وأدرك الدهقان خطأه الكبير ، وجعل يرجو أباموسى أن يبقي عليه ويعطيه مالاً كثيراً ، لكنه رفض ورأى أن مصلحة الاسلام في قتل هذا الطاغية ، وأمر به فقتل . ثم أمر بقتل المقاتلة .

وبينما كان المسلمون يحاصرون السوس جاء رجل من الفرس إلى أبي موسى مرسل إليه من « سياه الأسواري »(١) ومعه رسالة ، فأمر أبو موسى بالرسالة فترجمت له ، فإذا فيهـــا :

إنا قد رغبنا في دينكم ، فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ولا نقاتل معكم العرب ، وإن قاتلنا أحدٌ من العرب منعتمونا منه ، وننزل حيث شئنا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلحقونا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا الأمير الذي هو فوقك بذلك .

وأجابهم أبو موسى : بل لكم ما لنا وعلينا ما عليكم . فلم يرضوا .

---

(١) سياه الأسواري : أحد رجال الفرس وقوادهم ، وكان من قصته : أن ملك الفرس يزدجرد أرسله وطائفة من الرؤساء والجند لقتال المسلمين أثناء حصارهم لتستر، فخرج سياه ومن معه من أصبهان ، فلما رأى أن تستر قد فتحت وأن أهلها قد غلبوا ، دعا الرؤساء الذين معه ، وذكر لهم فعال المسلمين وأنه لايلقون جنــداً إلا ذلوه ولا ينزلون حصناً إلا فتحوه ، وقال لهم : انظروا لأنفسكم ، فأجابه قومه ، فاتفق معهم علىأن يسلموا وبعث برسالة إلىأبي موسى مع صاحبه.

عندها كتب إلى الخليفة بأمرهم ، وكتب له أيضاً يذكر أن بالسوس قبر النبي « دانيـال » وأن جسده مكشوف يستسقي به الناس ، وجاء الجواب من عمر :

أما سياه وجماعته ، فأعطهم ماسألوك ، وأما النبي دانيال ، فكفنه وادفنه .

وفعل أبو موسى ما أمره به الخليفة ، فأمر بتكفين النبي دانيال ودفنه ، ثم استدعى سياه الأسواري ومن معه فأسلموا ، وفرض لهم ، فجعل لمائة منهم ألفين ألفين ، واستة من زعمائهم ألفين وخمسمائة .

وهكذا تم لأبي موسى فتح تستر عاصمة خوزستان ، وفتح السوس التيكانت فتنة للناس بجمالها وروعتها،وبذلك أتم فتح إقليم الأهواز جميعه ، وأضافه لسيادة المسلمين ، ونزعه من سلطان دولة الأكاسرة التي أخذت تترنح من توالي الضربات الموجعة .

- ٦ -

كان لسقوط أقليم الأهواز بفتح عاصمته تستر أثر كبير في نفوس أمـراء فارس ، وأحس الجميع بالخطر ، فتكاتبوا فيما بينهم ، ودعوا لاجتماع كلمتهم وتوحدهم في مقابلة الخطر الداهم ، الذي سوف لا يلبث أن يحيق بهم ، وكتبوا يخبرون الملك بذلك ففرح ، وانبثق في قلبه أمل جديد بعودة ما فقده

من مملكته ، وكتب كتاباً إلى جميع أمراء المملكة وإلى أفراد الشعب يأمرهم بالتكاتف ، وبالاجتماع صفاً واحداً لقتال المسلمين .

وتجمع أمراء فارس في نهاوند ، وساق كلٌ منهم عدداً كبيراً من الجند ، وأمَّروا عليهم ( الفيرزان ) واجتمع لهم من الجند ما يزيد على مائة وخمسين ألفاً ، ودعا الفيرزان سائر الأمراء ، فحضَّهم على قتال المسلمين ، وقال لهم :

« إن محمداً الذي جاء العرب بهذا الدين لم يتعرض لبلادنا ، وقام أبو بكر فلم يتعرض لنا في دار ملكنا ، ولم يثُرْ بنا إلا فيما يلي بلاد العرب من السَّواد . وهذا عمر بن الخطاب لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى غزانا في عقر دارنا ، فأخذ بيت المملكة ، وانتقصكم السَّواد والأهواز، وهو آتيكم إن لم تأتوه ، وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنده ، وتقلعوا هذين المصرين : البصرة والكوفة ، ثم تشغلوه في بلاده وقراره » .

وأهاج الفيرزان الأمراءبكلامه ، وأشعل الحماس في قلوبهم ، فأجمعوا كلهم على قتال المسلمين صفاً واحداً ، وتحت إمرته .

ونقلت أنباء هذا الحشد الفارسي إلى الخليفة عمر، فعزم على مقابلته وإيقاع الهزيمة به ، واختار لقيادة المعركة الفاصلة

واحداً من خيرة أصحاب النبي ﷺ وهو النعمان بن مقرن المزني الشجاع المقدام، الذي حارب كثيراً في الجبهة الفارسية.

وكتب عمر إلى النعمان بالمسير إلى نهاوند وأن يكون على رأس الجند وكتب إلى الكوفة بتسيير حذيفة بن اليمان على رأس جندها ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري يأمره بالمسير بجند البصرة ، وتجمع للمسلمين حيال نهاوند قريب من ثلاثين ألفاً من المجاهدين ، وحضر إلى هذه المعركة أبطال المعارك ، وسادة الناس وزعماء المسلمين وأصحاب الرأي فيهم ، وانضووا جميعاً تحت إمرة النعمان بن مقرن .

وفي نهاوند عام ٢١ للهجرة دارت رحى معركة ضروس بين المسلمين وأضعاف أضعافهم من الفرس، وصمد المسلمون لعدوهم في اليوم الأول والثاني للمعركة ، وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين ، ثم دخلت المعركة يومها الثالث ـ وكان يوم جمعة ـ فقام قائد المسلمين النعمان يحضّض جنده على طلب الشهادة ، وعلى دحر العدو ، وأمرهم أن لا يبدأوا القتال إلا بعد زوال الشمس ، وأن لا يغشوهم حتى يكبر ثلاث تكبيرات .

وقام النعمان وكبر الأولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، وهجم المسلمون على أعدائهم هجوم الليوث ، وفعل أبطالهم

الأفعال العجيبة ، ودعا النعمان لنفسه بالشهادة ، فما كان أسرع أن صرع رضي الله عنه ، فحمل الراية أخوه ، وكتم عن الناس خبره ، واستبسل المسلمون في القتال أيما استبسال ، فدارت الدائرة على الفرس ، وقتل منهم عدد هائل لم يسبق أن قتل منهم مثله في المعارك السابقة ، وتمت هزيمتهم ، وكتب الله النصر لعباده المؤمنين ، وحمل راية القيادة حذيفة ابن اليمان ، وأصيبت دولة الفرس بضربة كانت من أوجع الضربات بعد القادسية وتستر ، وفتحت على المسلمين نهاوند وكان هذا الفتح « فتح الفتوح » فلم تقم للفرس بعده قائمة ، وغزاهم المسلمون في كل ولاياتهم ، وأزالوا سلطانهم عنها .

كان أبو موسى الأشعري من أبطال هذا الفتح ، ومن قادة الجند ، فقد كان يرأس جند البصرة ، وكان عمر قد أوصى أن يبقى كل أمير على جنده ، وعلى الجميع النعمان ابن مقرن . وبعد ذلك النصر العظيم تعقب المسلمون الفرس إلى همذان ،ثم اتجه كل قائد إلى ناحية يتولى فتحها .

واتجه أبو موسى إلى الدينَوَر ففتحها ، ثم فتح ماسبذان ، ثم السيروان ، وجميع الكوَر التي بمهرجان قذق ، وبعث بصهره السائب بن الأقرع الثقفي ففتح الصيمرة ، ثم جاءه كتاب الخليفة يأمره فيه أن يعود للبصرة، فيكون فيها حتى يأتيه أمر جديد ، فعاد إليها .

وسر المسلمون جميعاً بفتح نهاوند، فقد انفتحت أمامهم الأبواب للاستيلاء على جميع ولايات فارس ، وكان أشدهم سروراً أميرهم عمر بن الخطاب ، وإن كان قد أحزنه مقتل النعمان بن مقرن ، حتى إنه نعاه على المنبر وبكاه بكاءً حاراً .

وبعد هـذا الفتح صمم عمر على متابعة فتح جميع المملكة الفارسية، ووضع خطة عظيمة شغل فيها جميع الفرس في كل ولاياتهم ، ومنعهم من الاجتماع ثانية كما حصل منهم في نهاوند ، فقد عقد ألوية الفتح للأمراء : فجعل لواء خراسان للأحنف بن قيس ، ولواء اردشير وسابور لمجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء اصطخر لعثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء دراَبجرِدْ لسارية بن زنيم الكناني ، ولواء كرمان لسهيل بن عدي ، ولـواء سجستان لعاصم بن عمرو ، ولواء مكران للحكم بن عمرو التغلبي ، وأمرهم جميعاً بالسير إلى هـذه الأمصار .

وكالعادة لم يطل المقام بأبي موسى بالبصرة ، فقد جاءه كتاب الخليفة عمر يأمره بأن يتكاتف مع عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ويعاونه في الفتح الذي عينه له ، فنهض أبو موسى من جديد للجهاد ، وأناب عنه في البصرة أنس بن مالك ، وسار حتى اجتمع بعثمان بن أبي العاص ، فاشتركا في فتح أرجان، وشيراز ، وسينيزا ، ثم دأب على التعاون معه زمناً ، يغزو معه ثم يعود إلى البصرة .

## - ٧ -

صدر أمر الخليفة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى في عام ٢٣ للهجرة بالتوجه إلى أصفهان ، فنهد من البصرة ، وأخذ معه ابنه أبا بكر ـ وكان شاباً صغيراً لا يتجاوز السابعة عشرة ـ وحاصر أصفهان فتحصن أهلها في مدينتهم ، وشدد أبو موسى الحصار ، وصار يعرض عليهم الاسلام ، فيأبون ، وأخيراً طلبوا الصلح على أن يدفعوا الجزية ، فقبل منهم أبو موسى ، فأبرم معهم صلحاً ، إلا أنه شعر أن في نيتهم الغدر ، فأمر أصحابه أن يكونوا على تعبئة مستمرة ، ويقظة تامة .

وحدث ما توقعه ، فلم ينتظر أهل أصفهان طويلاً ، فقد أصبحوا على غدر ، فنقضوا الصلح ، وهجموا على المسلمين يريدون أن يصيبوا منهم غرة ، إلا أنهم وجدوهم مستعدين لمواجهة غدرهم ، ونادى أبو موسى دهقانهم للمبارزة ، فبرز إليه ، فما كان أسرع أن قتله ، ثم قام في جنده يحضهم على الجهاد ، وخطبهم خطبة قصيرة بليغة مؤثرة قال فيها :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف » .

وقام رجل من جنده رثّ الهيئة فقال : يا أبا موسى أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، فرجع

الرجل إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه حتى قتل رحمه الله .

وسمع خطبة أبي موسى واحد من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له « حممة » فقال بصوت عالٍ : « اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك ، اللهم إن كان صادقاً فاعزم له بصدقه (١) ، وإن كان كارهاً فاعزم له وإن كره ، اللهم لايرجع حممة من سفره هذا » .

واستشهد حممة ـ رحمه الله ـ وقام أبو موسى بعد المعركة وقال :

يا أيها الناس ، والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد .

وحمل أبو موسى بأصحابه حملة صادقة على أهل أصفهان الذين قابلوا المسلمين بغدرهم ، وانقض عليهم المسلمون كالأسود ، فتخاذل أولئك ، وجبنوا أمام هؤلاء الأبطال الذين أعملوا فيهم السيوف والرماح، فلم يلبثوا ساعة حتى انكشفوا، فهزموا هزيمة مريرة ، ودخل المسلمون مدينتهم ، فغنموا ما فيها ، وخضع لهم أهلها ، فاستعمل عليهم أبو موسى ، ثم عاد إلى البصرة ظافراً غانماً .

---

(١) أي قوّه وصبره بسبب صدقه .

## - ٨ -

فجع المسلمون في الأيام الأخيرة من العام الثالث والعشرين للهجرة بخليفتهم العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد قضى شهيداً إثر طعنة طعنها إياه رجل فارسي موتور ، وبكاه المسلمون بكاءً حاراً ، وحزنوا عليه حزناً بليغاً ، وتأثر الأكابر من أصحاب رسول الله بموته تأثراً عظيماً ، وعبّر عن تأثرهم عبد الله بن مسعود بكلمة بليغة قالها وهو ينعَى عمر لأهل الكوفة ، فقد قال لهم : « والله لو أعلم عمر كان يحب كلباً لأحببته،والله إني أحسب العِضاه (١) قد وجد فَقْد عمر »(٢) ونعاه أبو موسى الأشعري لأهل البصرة من فوق منبر مسجدها الجامع ، وغلبته عَبْرته فبكى ، فما بقي أحد في المسجد إلا وشارك في البكاء .

وبعد موت عمر بأيام أجمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ على اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه خليفة للمسلمين، وفرح المسلمون بخليفتهم الجديد ، فهو من السابقين الأولين، وممن أبلَوا بلاءً حسناً ،وهو يمتّ بسبب إلى رسول الله ﷺ، فهو صهره على ابنتيه : رقية وأم كلثوم ، وكان عليه الصلاة والسلام يحبه كثيراً .

---

(١) العضاه : نوع من شجر البادية .
(٢) وجد فقد عمر : حزن عليه .

وجاء كتاب من الخليفة الجديد إلى أبي موسى فيالبصرة يجدّد لـــه فيه الولاية عليهـــا ، وكان عمر ــ رحمه الله ــ قد أوصى فيما أوصى به أن يبقى أبو موسى الأشعري أميراً على البصرة بعد وفاته أربع سنوات . وفرح أهل البصرة ببقاء أبي موسى أميراً عليهم ، وشكروا هذا الصنيع للخليفة عثمان.

وعلى مدى خمس سنوات بقي فيها أبو موسى أميراً للبصرة زمان عثمان لم ينقطع عن الجهاد ، والتوغل في بلاد فارس فاتحاً ومؤدباً ، بل إن أول فتح حصـــل في زمن ذي النورين رضي الله عنه ، قد تم على يدي المجاهد الشجاع أبي موسى الأشعري ، فقد انتقض أهـــل الري بعد وفاة عمر ، فنهض لهم أبو موسى بأهل البصرة ، وأوغل في بلاد فارس ، وهناك لقنهم درساً بليغاً ، ثم أبرم معهم صلحاً جديداً ، لكن بعض أهل الري استمرؤوا الغدر ، فغزاهم أبو موسى ثانية سنة خمس وعشرين ، ووضع حداً لغدرهم الذي تكرر .

وفي سنة سبع وعشرين كان أبو موسى وعثمان بن أبي العاص يفتتحان بلاد : أرجان ودرابجرد ، وينشران فيها نور الإسلام ، وعدله ورحمته ، واستمر ــ رحمه الله ــ بعد ذلك غازياً مجاهداً إلى أن انتهت ولايته على ذلك المصر .



# أمير الكوفة ومعلّمها

- ١ -

بقي أبو موسى أميراً على البصرة مدة تزيد على اثني عشر عاماً في زمان الخليفتين : عمر وعثمان . وقام خلال هذه المدة بأعمال جليلة ، سطرها له التاريخ بأحرف من نور ، فقد أقرأ أهل البصرة وفقههم ، ووعظهم وأرشدهم . وكان له دوره الكبير في الفتوحات الاسلامية والجهاد في سبيل الله ، ولقد ساسَ أهل البصرة بسياسة العدل والرحمة ، وقضى في خصوماتهم ، وعلمهم بأقواله وأفعاله آداب الاسلام ومثله العليـــا .

ولقد استطاع أن يحظى بإعجاب عمر بن الخطاب ، وهو الخليفة اليقظ ، الدقيق المحاسبة ، الذي لم تكن تخفى عليه أمور الولاة ، وكان يحاسبهم على دقـــائق الأمـــور ، ويعزل الواحد منهم للهفوات القليلة، فأبقاه عمر طيلة خلافته وأوصى أن تمتد ولايته بعد وفاته .

وحينما استخلف عثمان بن عفان أقره على إمرة البصرة، وعرف له حقه ، وأعجب به كما أعجب به سلفه ، وامتدت إمرته خمس سنوات في زمانه ، ثم رأى عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن يجدّد نشاط الفتوحات الاسلامية ، وأن يفسح المجال لنوابغ فتيان الاسلام ، أن يتمرسوا في شؤون الادارات وقيادة الجيوش ، فأجرى بعض التعيينات الجديدة في أعمال الولايات ، وأرسل للبصرة أميراً جديداً ، هو الشاب القرشي الشهم الشجاع ، السخي النبيل ، كريم المحتِد : عبد الله ابن عامر . وكتب كتاباً إلى أبي موسى يقول فيه :

« إني لم أعزلك عن عجز ولا خيانة ، وإني لأحفظ قيد استعمال رسول الله وأبي بكر وعمر إياك ، وإني لأعرف فضلك ، وأنك من المهاجرين الأولين ، وقد أمرته أن يعطيك ثلاثين ألف درهم » .

وتلقّى أبو موسى كتاب الخليفة بالرضى التام ، لم يغضب ، ولم يحزن ، ولم يتحسر على هذا المنصب الذي فقده ، فما كان بالرجل الذي يتهالك على المناصب ، بل كانت المناصب تطلبه ، وقام في أهل البصرة فأبلغهم قرار الخليفة بتنحيته وقال لهم :

يقدم عليكم غلامٌ كريم العمات والجدّات ، يُجمع له الجندان (١) ، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا (٢) .

وقدم الأمير الجديد ، وأحسن أبو موسى استقباله ، وسلمه مقاليد الادارة ، وأظهر هـذا الأمير الجديد الاحترام والتقدير الكبيرين لأبي موسى ، وقدم له الدراهم التي أرسلها أمير المؤمنين ، لكنه اعتذر عن أخذها زهداً وورعاً .

ورجع أبو موسى إلى بيته ، وأخبر أهله وأولاده برغبته بالتحول إلى الكوفـة ، حتى يوفر للأمـير الجديد فرصـة الاستقلال بإدارة البلد ، فقالوا : نحن طوعٌ لك فيما تحب وترضى ، وقال لهـم : ولكن هـذا الرجل نزعني ، ووالله ما عندي درهم ولا دينار ، فلننتظر حتى يأتيكم عطاؤكم من المدينة ، وقالت إحدى زوجاته : علمت أن أمير المؤمنين قـد أرسل لك مـع ابن عامر ثلاثين ألف درهم فهـلاّ أخذتهـا ، فنستعين بها على أمور عيشنا ؟ وأجابها أبو موسى :

ما كنت لأفارق البصرة وعندي من مالهم دينـارٌ ولا درهم !!

---

(١) أي جند البصرة وجند فـارس ، فقد ولاّه عثمـان عليهما ، ونزع عنهما أبا موسى وعثمان بن أبي العاص .

(٢) يقول بالمال هكـذا وهكـذا : أي يجـود به عليكم ويوسعكم عطاءً .

وعلم ابن عامر برغبة أبي موسى بالتحول إلى الكوفة ، فجاءه وقال له :

« يا أبا موسى ما أحدٌ من بني أخيك أعرف بفضلك مني ، أنت أمير البلد إن أقمتَ ، والموصول إن رحلتَ » .

وأجابه أبو موسى : جزاك الله خيراً يا ابن أخي .

- ٢ -

جاء عطاء عيال أبي موسى من المدينة ، فدفع ما عليه من حقوق لأهل البصرة،ثم استأذن الأمير في الارتحال وخرج، فخرج معه الأمير ووجوه أهل البصرة وشيّعوه إلى ظاهر البلد ثم عادوا . وحزن أهل البصرة لارتحال أبي موسى ، وأثنَوا عليه خيراً ، أما هو فقد انطلق من البلد والرضى يملأ قلبه ، ولهج لسانه بالحمد والثناء على الله سبحانه، فقد وفقه طيلة إمرته لأعمال جليلة في التعليم والجهاد ، ودعا ربه أن يكتبها له في سجل القبول والرضى وأن يثيبه عليها .

خرج أبو موسى من البصرة وخرج معه أهله وأولاده : ابراهيم ، وعامر ـ الذي كنّاه بأبي بردة ـ وأبو بكر ، وكانوا جميعاً ما بين غلام وشاب ، قد رباهم أبوهم على أخلاق الاسلام ، وزودهم بزاد طيب من العلم والهدى ، وسار بهم

جميعاً عدة أيام حتى وصل الكوفة ، فاستقبله أهلها أحسن استقبال ، واتخذ لنفسه بيتاً قبالة المسجد الجامع .

كان فرح أهل الكوفة عظيماً بهجرة صاحب رسول الله ﷺ إليهم ، وهو الأمير المعلم ، والفقيه القارىء ، وكان أشدهم فرحاً طلاب العلم وأصحاب الزهادة والعبادة والورع ؛ فقد رأوا فيه أستاذاً جليلاً ومعلماً نبيلاً ، سوف ينتفعون منه ، ويتفقهون به .

وفرّغ أبو موسى نفسه للعلم ، فبذله لأهل الكوفة ، وصارت له حلقة في مسجدها الجامع ، يقرىء فيها القرآن الكريم ، ويروي الحديث الشريف ، ويجيب على أسئلة السائلين ، وفتاوى المستفتين .

وأقبل طلاب العلم على هذا المعلم الجديد الذي أمّ مسجدهم ، فرأوا عنده علماً غزيراً ، وخلقاً نبيلاً ، وديناً متيناً ، وورعاً وخشية ، فنهلوا من زاده ، وارتووا من ينابيعه ، وأعجبوا به إعجاباً شديداً ، فقد كان إلى جانب علمه الغزير واجتهاده في تبليغه ؛ كثير العبادة ، عظيم الطاعة ، شديد التحري ، عظيم المراقبة ، إلى جانب زهادة في الدنيا وتطلع إلى الآخرة .

ووجد أهل الكوفة في أبي موسى خير خلف لأستاذهم الكبير الذي أقام عندهم زماناً من خلافة عمر ، وبعض الوقت من خلافة عثمان : عبد الله بن مسعود ، ورأوا أن أوجه التشابه كثيرة بين الرجلين ، ولم يعجبوا طويلاً لذلك ، فالرجلان قد أخذا جميعاً من محمد رسول الله ﷺ ، وقد تخرجا من مدرسته .

أمضى أبو موسى في تعليم أهل الكوفة عدة سنوات ، وأتم البنيان الذي أسسه عبد الله بن مسعود وغيره من أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم جميعاً ، وساهم في تخريج نوابغ من مدرسة الكوفة ، وفي اعداد جيل كريم من التابعين فيها ، يستن بسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، ويهتدي بهديهم .

وكما انقطع له في البصرة عدد من التلاميذ ، فقد انقطع له في الكوفة أيضاً عددٌ آخر من كبار التابعين فحملوا عنه علماً غزيراً واستفادوا منه فضلاً كبيراً ، وسجلهم التاريخ في عداد تلامذته .

وكان من هؤلاء التلاميذ : أبو عثمان النَّهْدي واسمه ( عبد الرحمن بن ملّ ) ، أدرك النبي ﷺ ولم يره ، وروى عن عمر وابن مسعود وسلمان وأسامة ، وانقطع إلى أبي موسى فأخذ عنه . قال فيه سليمان بن طرخان – وهو من رواة

الحديث الثقات ـ : إني لأحسب أبا عثمان كان لايصيب ذنباً ، كان ليله قائماً ونهاره صائماً .

ومن تلاميذه : الأسود بن يزيد ، وقد تأثر كثيراً بعبادة أبي موسى وكثرة قراءته للقرآن ، فكان مثل شيخه كثير العبادة ، يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وفي غيره في كل ست ليالٍ . وتأثر أيضاً بخصلة حميدة من خصال شيخه وهي شدة الحياء من الله تعالى . روَوا أنه لما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : لا أجزع ؟! ومن أحق بذلك مني . والله لو أُتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه بما قد صنعت ! إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير ، فيعفو عنه ، ولا يزال مستحيياً منه .

وكان كثير الثناء على أبي موسى ، روَوا أنه قال : « لم أرَ بالكوفة أعلم من عليٍ ولا أبي موسى » .

ومن تلاميذه : أبو وائل ( شقيق بن سلمة ) أدرك النبي ﷺ ولم يره ، وأخذ عن كبار الصحابة ، وأفاد كثيراً من أبي موسى ، فكان عالماً ربانياً ، ومجاهداً شجاعاً ، وكان كثير العبادة ، يقول في سجوده : رب اغفر لي ، رب اعفُ عني . **إن تعفُ عني ؛ تعفُ عني تطوّلاً من فضلك ، وإن تعذبني ؛ تعذبني غير ظالم .**

## - ٣ -

بقي أبو موسى منقطعاً لتعليم أهل الكوفة ما يقرب من خمس سنوات ، فسمَت مكانته في قلوب الناس ، وصار مرجعاً لهم في شؤون دينهم ، يصلُّون خلفه ويسعدون أيما سعادة بقراءته للقرآن ، فيتذوقون حلاوة الايمان ، وتخالط بشاشته قلوبهم .

وكانت لأبي موسى مكانة خاصة عند أمير الكوفة : الشاب الشجاع الفاتح ، والمقرىء الفقيه : سعيد بن العاص القرشي ، الذي اشترك في جمع القرآن بتكليف من الخليفة عثمان ، فكان يستشيره في أموره ويعمل بمشورته ، وأحبه أبو موسى وأكبره لفقهه وقراءته ، ولسيرته الحميدة في رعيته .

لكن أناساً من أهل الكوفة شغلوا أنفسهم بالباطل ، وأكثروا من نقد أميرهم ، وشغبوا عليه ، فشكاهم للخليفة ، فلما تيقن من شغبهم طلب إليهم أن يكفّوا عن أميرهم ، فلم يفعلوا ، فأخرجهم عثمان من الكوفة إلى الشام ، واستقبلهم أمير الشام معاوية أحسن استقبال ، وبذل لهم المودة ؛ إلا أنهم لم يسكنوا إلى الهدوء ، فأزعجوا معاوية ، فأخرجهم إلى حمص ، فشغبوا على أميرها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ثم طلبوا من الخليفة أن يردهم إلى الكوفة ، فاستجاب لهم .

عاد هؤلاء المشاغبون إلى الكوفة ، لكنهم لم يخلدوا إلى الهدوء ، فقد كانت نوازع الشر قوية في أنفسهم ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى ، وبدأت الفتنة تطل برأسها في أكثر من مكان من الأمصار ، وكان ممن تولّى كِبْرها رجل يهودي ماكر ، أظهر الإسلام وأبطن الكفر ، اسمه عبد الله بن سبأ ، وقدم هذا اليهودي الكوفة ، وحرك نار الثورة في قلوب المشاغبين من جديد ، فاشتد أمرهم ، وأمالوا إليهم قلوب الرعاع ، ثم استطاعوا في بداية سنة أربع وثلاثين إخراج أميرهم من البلد، فلحق بالخليفة ، وخلت الكوفة للفتنة تعبث فيها .

ورد الخليفة أمير الكوفة إلى عمله ، فارتحل إليها ، لكن الثائرين منعوه أن يدخل إليها ، وخرج إليه زعيمهم مالك بن الحارث الملقب بالأشتر ومعه جماعة من أتباعه ، إلى مكان يقال له « الجرعة » خارج الكوفة ، وهددوه بالقتل إن لم يرجع ، فرجع وتجنب سفك الدماء ، وآثر الحفاظ على وحدة الجماعة .

أما زعيم الثائرين ، فقد رجع هو وجماعته إلى الكوفة ، وفي الطريق تذاكروا فيمن يولونه أمر البلدة ، واستقر رأيهم على أن يعهدوا بهذا الأمر إلى أبي موسى الأشعري ، ورأوا أنه أجدر الناس بهذا الأمر ، ودخل الثائرون المسجد ، فوجدوه قد امتلأ بالناس ، وأبو موسى وحذيفة بن اليمان

وآخرون من الصحابة يسكّنون الناس،وينهونهم عن الاشتراك في الفتنة ويحذرونهم منها .

ولم يشعر الناس إلا والأشتر قد علا المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة ، قد ألحقنا هذا الرجل بصاحبه ، وقد وليت أبا موسى صلاتكم وثغركم ، وحذيفة بن اليمان على فيئكم .

ثم نزل وقال : يا أبا موسى اصعد .

ولم تذهل المفاجأةُ الصحابيَّ الكبير والألمعي الأريب أبا موسى ، ولم يَمِلْه الطمعُ في الامرة إلى الاستجابة فوراً — وإن كان في ذلك دفع لبعض شرور الفتنة — فقال على مسمع من الناس :

ما كنت لأفعل .

ولكن هلمّوا فبايعوا لأمير المؤمنين عثمان ، وجدّدوا له البيعة في أعناقكم .

وقال الأشتر : اصعد أولاً وكلّم الناس .

فأجابه : بل البَيْعة لأمير المؤمنين أولاً (١) .

---

(١) ما أعظم هذا الموقف وما أنبله من أبي موسى الذي كان عثمان قد عزله عن إمرة البصرة !! ولكنه الاخلاص والصدق والوفاء،وكانت تلك أخلاق القوم لا يستطيعون غيرها .

واستجاب الناس له ، فبايعوا أبا موسى على السمع والطاعة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان ؛ وعندها صعد المنبر وخطب الناس خطبة قال فيها :

أيها الناس ، لا تنفروا في مثل هذا ، ولا تعودوا لمثله ، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعجلة. ثم وعظهم وأرشدهم.

وسكنت الكوفة إلى أميرها الجديد ، وكتب هو إلى عثمان يخبره بالذي جرى ، فأعجبه ذلك وسرّه سروراً عظيماً ، وشكر له صنيعه . ثم كتب إلى أهل الكوفة كتاباً ، يقر فيه ولاية أبي موسى عليهم .

وكان شاعر أهل الكوفة قد أرسل أبياتاً إلى عثمان يطلب فيها أن يولي عليهم أبا موسى ويقول له فيها :

تصدّق علينا ابن عُفّان واحتسبْ
وأمّر علينا الأشعري لياليا

وأجابه عثمان :

نعم ، وشهوراً وسنينَ ، إن بقيت .

★ ★ ★



# في أيــام الفِتَــن

## - ١ -

تولّى أبو موسى ـ كما رأينا ـ إمرة الكوفة بعد أن ثار بعض أهلها على أميرهم السابق ، وأقر عثمان ولايته ، وسار في الناس سيرة حميدة ، وأحب أن يشغلهم عما جرى ، فأكثر لهم مــن دروسه وعظاته ، وزاد مــن تجولاته في مساجــد القبائل ونواديها ؛ لكنه ـ واحسرتاه ـ كانت الفتنة التي أوقد نارها المشاغبون ـ وخصوصاً عبد الله بن سبأ اليهودي ـ قد شبّت في أكثر من مصر ، وأخذ يؤرّث نارها هــواة الشــر وجند إبليس .

وزحف الثائرون إلى المدينة المنورة في نهاية عام خمس وثلاثين للهجرة ، وتصدى لهم الخليفة عثمان فناقشهم فيمــا ينقمون عليه ، وردّ عليهم ما افتروه عليه ، ووعدهم خيراً ، فسكتوا ، ثم فصلوا من المدينة على نية غدر ، وما لبث أهل المدينة أن فوجئوا بعودتهم بعد أيام متذرعين بحجة كتــاب أرسله أمير المؤمنين إلى عامله في مصر بقتل الثائرين من أهلها ،

ولم يَعُد ثائرو مصر وحدهم بل عاد الجميع تنفيذاً لخطة الغدر ،ونفى الخليفة أن يكون قد كتب شيئاً ، وحلف لهم على ذلك ، لكنهم طلبوا إليه أن يخلع نفسه من الخلافة فأبى ، فحاصروه وشددوا عليه الحصار وألحوا في طلبهم وأبى هو من جديد وقال لهم :

**لا أخلع قميصاً قمّصنيه الله .**

وقامت طائفة من الصحابة وأبنائهم يناصرون الخليفة المحصور ، وكان من بينهم : الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم ، وابن عمر وأبو هريرة وغيرهم ، وطلبوا منه مقاتلة الثوار ، لكنه أبى خوفاً من سفك الدماء ، وظناً منه أنهم سيتركونه ويرحلون ! لكن خطة المؤامرة كانت تهدف إلى اغتيال الخليفة ، وفتح باب الشر والنزاع على مصراعيه بين المسلمين ، وهذا ما كان ، فقد قتل الثائرون الأشرار عثمان ذا النورين ، وفجع المسلمون بخليفتهم المظلوم في الأيام الأخيرة من سنة خمس وثلاثين ، ورفعت روحه الطاهرة إلى بارئها ، وباء المجرمون بغضب الله ولعنته .

وكانت أخبار حصار عثمان قد طارت في الأمصار ، فأسرع أبو موسى فأرسل جيشاً من أهل الكوفة يقوده القعقاع بن عمر التميمي لإنقاذ عثمان ، وأرسل معاوية

جيشاً كذلك ، لكن الجريمة قد تمت قبل وصول هذين الجيشين ، فعاد كل جيش إلى مكانه .

ودفن المسلمون خليفتهم الشهيد في مقبرة البقيع في المدينة المنورة ، وخلَت المدينة للثوار يعيثون فيها فساداً ، وجعلوا يعرضون الخلافة على وجوه الصحابة وكلهم يأبونها ، لكن الصحابة اجتمعوا بعد أيام لاختيار خليفة جديد يتولى أمور الأمة ، وبايعوا ابن عم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وحمّلوه هذه الأمانة الثقيلة في تلك الأزمة الحرجة ، ورجوا أن ينجي الله الأمة على يديه من هذه الفتنة التي اشتعلت نارها وأصبحت تهدد المسلمين جميعاً .

واستلم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه زمام الأمور، وجعل يتصرف في شؤون الأمة، فعيّن الولاة للأمصار، فعزل من عزل، وأقر من أقر ، وكان من بين من أقرهم أبو موسى الأشعري ، وكتب إليه كتاباً في هذا الشأن وطلب منه السمع والطاعة .

- ٢ -

ذهل المسلمون لمقتل الخليفة عثمان ، وبكوه بكاءً حاراً، وزادهم ذهولاً أن القتلة لا يزالون في المدينة المنورة ، لم تمتد إليهم يد فتقتص منهم، وهم يزعجون الخليفة الجديد ويشيرون عليه ، وليس بمقدوره أن يعاقبهم ، وإن كان يتحيّن الفرصة لذلك .

وكان من أشد الناس استياءً لمقتل الخليفة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام صاحبا رسول الله ﷺ ، واللذان كانا من ضمن الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة بعد أن طعن .

ورأى الرجلان أنه لا بد من التعجيل بالانتقام من القتلة، وطالبا الخليفة بذلك فاعتذر أنه لا يستطيع ذلك في حينه وأنه سيفعل ذلك بعد أن تستتب له الأمور ، واجتهد الرجلان اجتهاداً يخالف اجتهاد الخليفة الجديد ، وخافا أن يستبد أولئك الثائرون بالأمور ، ورأيا أنه لا بد من عقوبتهم عاجلاً حتى تتحاشى الأمة فتناً أخرى ، وحتى لا يفكر سفيه فاجر بالثورة على الخليفة من جديد .

واستأذن طلحة والزبير الخليفة بالخروج من المدينة فأذن لهما ، ولحقا بمكة المكرمة ، والتقيا هناك بأم المؤمنين عائشة ، وكانت قد خرجت للحج ثم أرادت العودة للمدينة، فلما علمت بمقتل الخليفة وهي في طريقها صُعقت للنبأالمحزن وعادت إلى مكة ، وخطبت الناس خطاباً قالت فيه عن أولئك الثائرين :

« انهم سفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام . والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، ووالله لو أن الذي

اعتدّوا به عليه كان ذنباً لخلّص منه كما يخلّص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه » .

والتقى رأي طلحة والزبير مع رأي عائشة ، فقد رأوا جميعاً أنه لا بد من تعجيل القصاص من القتلة ، وأن الخليفة الجديد لا يمكنه ذلك في وقته ، واستقر رأيهم على أن يجمعوا قوة من البصرة والكوفة ثم يجابهوا بها القتلة . وخرج الثلاثة من مكة وخرج معهم ناس كثيرون ، وذهبوا جميعاً إلى البصرة فدخلوها ، وجعلوا يعدّون للانتقام للخليفة الشهيد .

وشارك الثلاثة في رأيهم عن غير ما اجتماع واتفاق أمير الكوفة أبو موسى الأشعري ، فقد فجع الرجل بمقتل عثمان ، وحزن عليه حزناً عظيماً ، ودعا على قاتليه ، وروى للناس في مسجد الكوفة الجامع قصة تبشير النبي ﷺ لعثمان بالجنة على بلوى تصيبه ، وحث الناس على الانتقام للخليفة ، ومالأه على هذا الرأي جماعة كبيرة من أهل الكوفة .

أما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقد رأى في خروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة عصياناً له ، وتمرداً على طاعته ، فأحزنه ذلك ، وأحزنه أيضاً أن أمير الشام معاوية الذي أرسل له كتاباً يعزله فيه عن الامارة لم يستجب وتمرد هو أيضاً ، وأرسل يطالبه بالقصاص من قتلة عثمان ،وتمكينه ممّن فعل ذلك ، لأنه ولي دمه كما يقول .

ورأى الخليفة أن مطالبة هؤلاء بالقصاص من الثائرين حق ، لكن ليس لهم هذا الأمر بل له هو ، فهو الخليفة ، وهو لا يتمكن من القيام بهذا الأمر الآن ، فالثوار يملكونه ولا يملكهم ، وكان رأيه أن يجمع المسلمين حوله من جديد ويعيد إليهم وحدتهم ، ثم يقتص من الثائرين .

وحين علم علي أن الثلاثة قد عزموا على الذهاب إلى البصرة خرج بأصحابه من المدينة يريد أن يعترضهم فيردهم إلى رأيه ، إلا أن الثلاثة ومن معهم قد فاتوه وتوجهوا إلى البصرة ، فمشى يريد اللحاق بهم ، ليحاجّهم ويعيدهم إلى رأيه وأوى إلى جيشه معظم الثائرين .

- ٣ -

انطلق علي بأصحابه قِبَل البصرة ، وفي الطريق أرسل إلى أمير الكوفة رسالة يأمره فيها بأن ينضم إليه هو وأهل الكوفة ويسيروا إلى البصرة ، وحمل الرسالة إلى أبي موسى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ، لكنه لم يستجب لهما ، وحمّلهما رسالة إلى أمير المؤمنين بأنه يخشى أن يحترب المسلمون ، وأنه لا يسل سيفاً على مسلم .

كان رأي أبي موسى كرأي الثلاثة في وجوب معاقبة قتلة عثمان قبل كل شيء ، ثم واجه الرجل أمراً جديداً مخيفاً

وهو احتمال اقتتال فريقين من المسلمين ، وكلاهما ينقم قتل عثمان ويريد القصاص ، وكان أبو موسى ذا بصر ثاقب فلم يغب عن ذهنه أن دعاة الشر سوف يوقعون بين المسلمين ، فتسيل دماؤهم غزيرة ، لذا فحين دخل عليه ناس من أهل الحِجى من الكوفيين مساء هذا اليوم الذي جاءه فيه موفدا الخليفة ، وقالوا له : ما ترى في الخروج ؟ قال لهم :

« كان الرأي بالأمس ليس باليوم ، إن الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جر عليكم ما ترون ، وما بقي إنما هما أمران : القعود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ، فاختاروا » . ورأى أهل الكوفة رأي أميرهم ، فلم ينفر أحد ، وجاء الرجلان من جديد إلى أبي موسى فطلبا إليه أن ينفِّر بأهل الكوفة لكنه رفض من جديد ، فغضبا وأغلظا له القول ، فرد عليهما :

« والله إن بَيْعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بدٌ من قتال ، لا نقاتل أحداً حتى يُفْرَغ من قتلة عثمان حيث كانوا » .

وانطلق الرجلان إلى امير المؤمنين علي ، فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر ، فقال للأشتر : يا أشتر ، أنت صاحبنا في أبي موسى ، والمعترض في كل شيء ، اذهب أنت وعبد الله ابن عباس ، فأصلح ما أفسدت .

وخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشتر ، فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من أهل الكوفة ، وقال الأشتر للكوفيين : أنا صاحبكم يوم الجرعة(١) ، وأنا صاحبكم اليوم .

وتكلم أبو موسى في الناس وخطبهم قائلاً :

أيها الناس ، إن أصحاب النبي ﷺ الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله عز وجل وبرسوله ﷺ ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً فأنا مؤديه إليكم .

كان الرأي الأول ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل ، ولا تجترئوا على الله عز وجل .

وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الأمانة منكم ، ولا تكلّفوا الدخول في هذا .

فأما إذا كان ما كان فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خيرٌ من القاعد ، والقاعد

---

(١) يوم الجرعة : هو اليوم الذي خرج فيه الأشتر ومن معه من مشاغبي الكوفة إلى خارج البلد ، فردوا أميرهم سعيد ابن العاص ، وكان عثمان قد أرجعه إليهم .

خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومة(١) من جراثيم العرب ، فاغمدوا السيوف ، وأنصلوا الأسنة ، وقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة .

وبقي الأشتر في الكوفة يحرض أهلها ، وعاد ابن عباس إلى علي يخبره بموقف أبي موسى ، وصبر أمير المؤمنين على أبي موسى ، وأرسل له هذه المرة ابنه الحسن ومعه عمار ابن ياسر ، فأقبلا حتى دخلا مسجد الكوفة ، وخرج إليهما أبو موسى ، فلقي الحسن فضمه إليه ، وقال له الحسن :

يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال أبو موسى :

صدقت ـ بأبي أنت وأمي ـ ولكن المستشار مؤتمن . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » قد جعلنا الله عز وجل إخواناً ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم

---

(١) الجرثومة هنا : الأصل .

بالباطل » « ولا تقتلوا انفسكم إن الله كان بكم رحيماً » وقال جل وعز : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » .

وقام عمار بن ياسر يرد على أبي موسى ، وقام رجل من بني تميم يرد على عمار ويطلب إليه أن لا يسيء إلى أميرهم وثار الناس ، وجعل ابو موسى يكفكفهم ، ثم انطلق إلى المنبر، وسكن الناس .

وكان قد جاء زيد بن صوحان (١) في تلك الفترة كتاب من عائشة إليه وكتاب إلى خاصة الكوفة ، وقرىء على الناس كتاب الخاصة فإذا فيه :

أما بعد : فثبطوا ايها الناس ، واجلسوا في بيوتكم ، إلا عن قتلة عثمان .

ولما فرغ زيد من الكتاب قال : أُمرتْ بأمر وأمرنا بأمر ، أُمرتْ أن تقر في بيتها ، وأُمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أُمرت به ، وركبت ما أُمرنا به .

وقام شَبَث بن رِبْعي (٢) يرد على زيد بن صوحان وينعى عليه معصية أم المؤمنين ، ويقول له :

---

(١) من التابعين والمجاهدين ، ومن زعماء أهل الكوفة وفضلائهم .

(٢) من زعماء أهل الكوفة في زمانه .

ما أمرت إلا بما أمرالله عزوجل به : بالإصلاح بينالناس.

واضطرب الناس وقام ابو موسى فقال :

« أيها الناس ، أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب . يأوي إليكم الضعيف ، ويأمن فيكم الخائف . إنا أصحاب محمد ﷺ أعلم بما سمعنا . إن الفتنة إذا اقبلت شبّهت ، وإذا أدبرت بينت (١) . وإن هذه الفتنة باقرة (٢) كداء البطن ، تجري بها الشمال والجنوب والصَّبا والدبور ، فتسكن احياناً فلا يدرَى منأين تؤتى،تذر الحليم كابنأمس.

شيموا سيوفكم (٣) ، وقصّروا رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا اوتاركم ، والزموا بيوتكم .

خلّوا قريشاً ـ إذا أبَوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة ـ ترتق فتقها (٤) ، وتشعب صدعها (٥) ، فإن فعلت فلأنفسها سعت،وإن أبت فعلى نفسها

---

(١) شبهت : أبهمت على الناس حقيقتها.بينت : ظهرت على حقيقتها .

(٢) باقرة : تفرق القوم وتصدع ألفتهم .

(٣) شيموا سيوفكم : أغمدوا .

(٤) ترتق فتقها : تسده وتلحمه .

(٥) تشعب صدعها : تلمه وتصلحه .

منت، سمنها تهريق في أديمها،استنصحوني ولا تستغشوني، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة مَنْ جناها » .

وانتهت السفارة الثالثة التي أرسلها علي لأبي موسى من غير نتيجة ، وبقي الرجل مصراً على موقفه الذي يتلخص في كلمتين : الفراغ من قتلة عثمان قبل كل شيء . إغماد السيف في وجه المسلم الذي يختلف معنا في الرأي واللجوء معه إلى التفاهم ، فإن أبى يقاتل .

واضطر أمير المؤمنين علي للتخلّي عن هذا الوالي الفقيه الصادق ، صاحب الرأي ، العنيد به ، وكتب إليه كتاباً يأمره باعتزال إمرة الكوفة ، وسرعان ما استجاب أبو موسى فترك دار الولاية ، وأوى إلى بيته ، واعتزل الفريقين ،واجتهد في اختيار هذا الموقف ورأى أن ذلك ارضى لربه (١) .

أما أهل الكوفة فقد قام فيهم عمار بن ياسر والحسن ابن علي ، وزيد بن صوحان ، والقعقاع بن عمرو ، والأشتر

---

(١) كان هذا الرأي هو الذي لجأ إليه جماعة من أفاضل الصحابة ومنهم : أبو هريرة ، عبد الله بن عمر ، سعد بن أبي وقاص ، أسامة بن زيد ، أبو بكْرة الثقفي ، وغيرهم .

النخعي ، واستطاعوا أن يستميلوهم إلى الخروج مع أمير المؤمنين علي ، فخرج جماعة كبيرة منهم وانضموا إليه .

وفي البصرة حصل ما خاف منه أبو موسى،وما لم يرغب به الامام علي رضي الله عنه ولا السيدة عائشة ومن معها . في البصرة حصل الاقتتال بين فئتين من المسلمين كانت كل منهما ترغب في الاصلاح ودرء الفساد ، واستطاع السبئيون ومحركو الفتنة التي ذهب ضحيتها عثمان ، وسفهاء الفريقين، استطاعوا أن يشعلوا لظى حرب ضروس ، كان وقودها ألوف كثيرة من المؤمنين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وكان من قتلى تلك الحرب العمياء صاحبا رسول الله ﷺ : طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضوان الله عليهما ، وحزن عليهما الخليفة حزناً شديداً وترحم عليهما ، ورد السيدة عائشة مكرمة معززة إلى المدينة بعد أن ظهر على جماعتها .

وكان ذلك اليوم يوماً أسودَ آخر في تاريخ المسلمين ، وسمي بيوم الجمل ، وأضيف ليوم الدار الذي ذهب ضحيته الخليفة الشهيد عثمان ، وفتح على المسلمين به باب من الفتنة كبير !!

- ٤ -

كانت الفتنة التي اشتعلت نارها في المجتمع الاسلامي كبيرة جداً ، فأنتجت للمسلمين أيام شؤم ، كان منها يـوم الدار ، ويوم الجمل ، ثم جاء يوم كان أشد هولاً من سابقه ، وأبشع آثاراً ، ذلك هو يوم صفّين (١) .

فقد رفض أمير الشام معاوية بن أبي سفيان مبايعة أمير المؤمنين علي حتى يقتص من قتلة عثمـان أو يمكنه منهم ، وعزله علي فلم يستجب له ، ومالأه أهل الشام جميعاً وقاموا معه . وحين انتهى أمير المؤمنين علي من أهل الجمـل سـار بجيشه لينهي تمرد معاوية وأهل الشام ، وسار معاوية أيضاً بأهل الشام ، وعلم أبو موسى بمسيره للقاء علي فكتب لـه ينهاه عن ذلك ، فأبى(٢) .

والتقى الجمعان في « صفّين » على شاطىء الفرات ، ودارت رحى معركة ضروس بين فئتين عظيمتين من المسلمين ،

---

(١) كان يوم الجمل في جمادى الآخرة من عام ٣٦ هـ ، وكان يوم صفين في السابع من صفر عام ٣٧ هـ .

(٢) يفهم هذا من كلمة ذكرها ابن سعد في طبقاته لمعاوية وهي قوله لأبي بردة ــ ابن أبي موسى ــ : كان أبوك خليلاً لي غير أني قد رأيت في القتال ما لم ير .

كل فئة تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وقتل ألوف الناس في هـذه المعركة التي استمرت أياماً ، وكادت الغلبة تكون لأمير المؤمنين علي ، لكن أهل الشام نادَوا بوقف سفك الدماء والاحتكام إلى القرآن .

ورضي أمير المؤمنين علي بذلك حقناً لدماء المسلمين ، وسعياً وراء الإصلاح ، وأملاً في جمع كلمة المسلمين(١) .

ووضعت الحرب أوزارها ، وقام كل فريق إلى قتلاه يدفنهم ، وساد الحزن أوساط الجمعين ، وجرت الدموع غزيرة ، وكان أشد الناس حزناً الخليفة الممتحن علي رضي الله عنه ، وكان من صرعى هذا القتال المرير الصحابي الكبير عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي كان في جيش علي .

وتراضى الفريقان على التحاكم للقرآن الكريم ، وفتش علي عمن يمثله في هذا الاجتماع الخطير ، وأشير عليه بالرجل الكبير الذي اعتزل القتال وحذر من سفك الدماء : أبيموسى الأشعري ، فقبل به ؛ لما يعلم من رسوخه في العلم ومنإخلاصه

---

(١) هناك روايات تذكر أن طائفة من جماعة علي أرادته على وقف القتال ، وأنه نزل لهم على رأيهم وهو كاره ، ونحن نستبعد ذلك ، فعلي رضي الله عنه كان من أشفق الناس على المسلمين وأطلبهم للاصلاح والوفاق واجتماع الكلمة .

وصدقه وشجاعته وقوة شخصيته ، ولما يعلم من نزاهته وتحريه الحق ونصح المسلمين ، وسعى ساع إلى الكوفة والتقى هناك بأبي موسى وقال له : أجب أمير المؤمنين ، واستدركِ المسلمين فقد تفانوا .

وقدم أبو موسى وقد أحزنه جداً ما جرى ، وقال له علي رضي الله عنه :

**« يا ابا موسى ، احكم ولو على حزّ رقبتي » .**

أما معاوية فقد اختار عمرو بن العاص ليمثله وأهل الشام في هذا الاجتماع الذي سيتقرر فيه مصير المسلمين .

كانت مأساة الجمل ثم مأساة صفّين قد أحدثتا جرحاً عميقاً في قلوب المسلمين ؛ لا سيما خيارهم وأكابرهم ، وفي مقدمتهم أبو موسى الأشعري ، فقد حزن أشد الحزن لما حل بالمسلمين ، وخشي عليهم أن تتفرق كلمتهم ويشتغلوا في أنفسهم ، وينسَوا أخوّتهم التي تمت لهم بفضل محمد رسول الله ﷺ ودينه الذي أنزله الله رحمةً لهم وللعالمين .

وكان أهم ما يشغل بال أبي موسى هو : كيف تعود كلمة المسلمين واحدة ؟ وكيف يتجاوزون هذه المآسي التي ألمت بهم ، وكيف تنطفىء نار الفتنة التي اشتعلت ؟!

وحين التقى بعمرو بن العــاص في رمضــان « بدومة الجندل » للتحكيم ، أعرب له عن حزنه لما حلّ بالمسلمين وعن رغبته بأن تعود كلمتهم واحدة وينضوون تحت إمرة أمير واحد، وشاركه عمرو في هذه الرغبة . واستعرضا الآراء للخروج من هذه الأزمة الخطيرة ، وتناقشا طويلاً ؛ إلا أنهما لم يتوصلا إلى طريقة تلائم الرجلين ( علي ومعاوية ) : فعلي يصر على عزل معاوية عن الشام ورفض مطالبته بدم عثمان . ومعاوية لا يبايع لعلي حتى يسلمه قتلة عثمان فيقتص منهم ، وهذا الأمر يصعب جداً على علي ، خصوصاً بعد أن صار القتلة في قبائلهم ، واحتموا بها ، ثم إن معاوية لا ينصاع لعلي في اعتزال إمرة الشام ولا يرضى بذلك أهل الشام حتى ولو رضي هو .

وأخيراً وصل أبو موسى إلى رأي أدّاه إليه اجتهاده ونصحه وشفقته ؛ وهو أن الأمور لم تعد منقادة لأمير المؤمنين علي ، فهناك جماعة كبيرة من المسلمين تنكّرت له ، وامتلأت قلوبها ضغناً عليه ؛ لما أسال من دمائها ، وهي جماعة الشام ، لذا فإن الأمور لن تصلح إلا بخليفة جديد يختاره أصحاب رسول الله ﷺ ، وينزل جميع المسلمين على حكمه ورأيه. أما معاوية، فعليه أن يعتزل إمرة الشام ويكون واحداً من المسلمين يسمع ويطيع للخليفة الجديد .

هذا هو الرأي الذي توصل إليه أبو موسى : عزل الرجلين : علي عن الخلافة ، ومعاوية عن الإمرة ، واختيار خليفة جديد يطيعه الجميع . أما الخليفة الذي يرشحه لهذا المنصب ، فهو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر الذي له من المؤهلات العظيمة ما يقرب من مؤهلات والده العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والذي يكاد جميع الصحابة يجمعون عليه ولا يختلفون في شأنه .

ووافق عمرو أبا موسى على مبدأ عزل الرجلين والرجوع للصحابة لاختيار خليفة جديد ، وشاركه هو الآخر نصحه وشفقته ، وأعلنا رأيهما على جميع من حضر هذا الاجتماع الخطير . وتفرق الناس على هذا الرأي .

كان هذا هو الرأي الذي اتفق عليه الحكمان جميعاً ، بيد أن الأمور لم تجرِ على ما أحب أبو موسى وعمرو ، فلم يقدّر لأصحاب رسول الله أن يلتقوا وينظروا في اختيار خليفة جديد . فبقي أمير المؤمنين علي في الكوفة إلى أن اغتيل ــ رحمه الله ــ في عام ٤٠ للهجرة ، وبقي معاوية أميراً على الشام خارجاً على طاعة الخليفة إلى أن تنازل له الحسن بن

علي عام ٤١ للهجرة ، وأصبح خليفة للمسلمين ، واجتمعت عليه كلمتهم (١) .

---

(١) صورت كثير من كتب التاريخ مسألة التحكيم بصورة يشوبها الكذب والمغالطات والأوهام ، التي لا تثبت أمام النقد والتمحيص ، وزعمت تلك الكتب مزاعم منها :

١ ـ أن أمير المؤمنين علياً لم يرض بأن يمثله أبوموسى، لأنه لم يناصره منذ البداية ولا يرى رأيه ، وإنما أجبر على ذلك من قبل جماعته اليمانيين .

٢ ـ لم يكن الحكمان متكافئين ، فأبو موسى رجل ساذج مغفّل ، وعمرو رجل داهية فطن ذو مكر .

٣ ـ حدث في التحكيم خديعة كبيرة ، فبعد أن اتفق الحكمان على الرجوع لأصحاب النبيﷺلاختيار خليفة جديد، قدّم عمرو أبا موسى ليتكلم ، فقام فخلع علياً ومعاوية ، ثم قام عمرو فخلع علياً وأثبت معاوية . وحين رأى أبو موسى منه ذلك ، شتمه شتائم مقذعة ، وردّ عليه عمرو بمثل ذلك .

* * *

والحق أن الأمر ليس كما صوره أولئك المؤرخون ، ولا يمكن الركون أبداً للروايات الهزيلة التي أوردوها في هـذا

←

.. .. .. .. .. .. ..

→

المجال والتي لا تثبت للنقد ، وتتضح الصورة الصحيحة لمجريات التحكيم ونتائجه وملابساته بذكر الأمور التالية :

١ ــ إن أمير المؤمنين علياً كان راضياً كل الرضى عن تمثيل أبي موسى له ، فقد كان يثق بعقله وفطنته وعلمه ، وكان قد وطّن نفسه على أن يقبل بالحق الذي يراه أبو موسى ويخضع له .

٢ ــ لم يكن أبو موسى بالصورة التي حلا لبعض المؤرخين أن يصوروه بها ــ خاصة بعد التحكيم ــ وهي صورة الانسان المغفّل الساذج الذي يخدع من قريب . وكيف غفل عن هذه الصفات فيه رسول الله ﷺ وقد أمّره وجعله من عماله ، وكيف غفل عن هذه الصفات فيه بقية الخلفاء : فقد أمره أبو بكر وعمر وعثمان ، ولقد طالت إمرته على البصرة كما لم تطل إمرة غيره على مصر من الأمصار ، ما خلا معاوية ؟! وكان عمر يصفه بأنه « كيّس » وحتى أمير المؤمنين علي أقره على إمرة الكوفة ، ورضيه ممثلاً له في هذا المصر الذي كانت تكثر فيه القلاقل ، وحين سئل عنه فيما بعد ؛ وصفه قائلاً : « صُبغ في العلم صبغة » .

والحق أن أبا موسى كان من أعيان الصحابة ، ذا عقل

←

.. .. .. .. .. .. ..

---

→
كبير وفهم دقيق وبصر نافذ ، ولكنها الأهواء تصور الرجال على الصورة التي تحلو لها !!

أما عمرو بن العاص المشهود له بالدهاء والفطنة ، فما كان بالرجل الذي يستعمل دهاءه لغير صالح المسلمين ، وما كان بالرجل الذي يقامر بمصلحة الإسلام والمسلمين،ويستحل الكذب والمكر والخداع ليصل إلى إمرة على حساب دينه وأمته، لقد كان عمرو واحداً من خيار أصحاب رسول الله ، ومن الفاتحين المجاهدين الصادقين ، الذين يبغون عزة الإسلام ورضوان الله تعالى .

٣ ـ أما قصة الخديعة فهي قصة متهافتة ، وأنا أعجب والله لبعض مؤرخينا رحمهم الله كيف ذكروها على هذه الصورة ، ولم ينقدوها ويبينوا زيفها كما فعل الامام الناقد الكبير ابن العربي رحمه الله في كتابه « العواصم من القواصم » وكما فعل غيره من العلماء في هذا العصر .

والحق أن الخديعة لم تحصل ، فلم يكن في الأمر مجال خديعة ، وما كان عمرو بالصورة التي تصوره بها كتب التاريخ ـ رجلاً كذاباً مخادعاً ـ بل كان يشفق على الأمة مما أصابها ويريد لها الخروج من محنتها . لقد التقى الرجلان واتفقا
←

.. .. .. .. .. .. ..

---

←

على الرجوع للصحابة واختيار خليفة جديد ، وأعلنا ذلك على المؤتمرين ، لكن الأمور لم تتم على الصورة التي رسماها . وهناك من المؤرخين الثقات ــ كخليفة بن خيَّاط ــ من يرون أنهما اجتمعا ، فلم يتفقا على شيء ، وتفرق الناس على غير نتيجة .

ومن ناحية ثانية ، فمن يستعرض الحوار الذي دار بين عمرو وأبي موسى بالصورة التي يذكرها المؤرخون ــ ونحن نرفضها ــ يرَ أن أبا موسى رجل يقظ لكل كلمة يقولها عمرو ، ويرد عليه رداً قوياً ، ويسد عليه كل منفذ ، وبالتالي يكبر هذا المفاوض .

وهناك أمر هام نحب أن نلفت النظر إليه وهو أن الخديعة التي صدرت من عمرو ــ على فرض صحتها ــ لم تفد صاحبه معاوية مطلقاً ، ولم تضر أمير المؤمنين علياً : فعلي رضي الله عنه بقي خليفة للمسلمين إلى أن جاءه أجله ، وبقيت البلاد التي تحت إمرته تحت يده . ومعاوية رضي الله عنه لم يكسب جديداً من هذه الخديعة ، فالبلاد التي كانت تحت يده بقيت كما هي .

←

.. .. .. .. .. .. ..

---

→

ثم إن الرجل لم يكن ليجرؤ على منافسة علي على الخلافة ، وما كان بالرجل الذي يساميه في ذلك ، فلم يطلب هو أن يصير خليفة ولا طلب له عمرو ذلك ، وإنما طالب الخليفة منذ البدء بقتل قتلة عثمان ، وعصى أمره حين خلعه ، فلم يفعل ، وآلت الأمور بعد ذلك إلى الصدام الذي كان فيه لكل فريق وجهة نظر يراها ويتمسك بها .

هذا وقد تحاشى الإمام العظيم ابن حجر في كتابه « الاصابة في تمييز الصحابة » في ترجمته لأبي موسى وعمرو وعلي ومعاوية ، ذكر كلمة الخديعة ، فلم يذكرها أبداً ؛ مما يوحي بأنه لا يراها شيئاً ، وقد رأى العذر لكلا الفريقين فيما جرى منهما ، وقال :

« وكل من الفريقين مجتهد » .

٤ ـ على أنه لا بد من التنبيه هنا على أمرٍ جدّ خطير ، قد غفل عنه كثير من الناس ، وهو أن أبا موسى حين اختاره علي ليمثله ما كان في الحقيقة ممثلاً لوجهة نظر علي رحمه الله ، بل كان يمثل وجهة النظر التي يراها أنها الحق ، وكان علي يعلم ذلك ، وقد سبق له هذا الموقف مع علي قبل يوم الجمل ، لذا فإن ما رآه أبو موسى يوم التحكيم كان اجتهاداً ساقه

←

.. .. .. .. .. .. ..

---

→

إليه علمه وورعه ، وقد يكون مصيباً وقـد يكون مخطئاً ، ويشفع له أنه فعل ما فعل عن اجتهاد ، والمجتهد مثاب على كل حال .

٥ ـ كان همُّ سائر أصحاب رسول الله ﷺ الاصلاح وتحاشي الفتن ، ولم يكن مقصد واحدٍ منهم الافساد والاضرار بمصلحة المسلمين ـ حاشاهم ـ ولاصدروا في أفعالهم عـن غايات شخصية ، وإنما فعل كل واحد منهم مافعل عن اجتهاد وقناعة ، فأصاب من أصاب وأخطأ من أخطأ .

ولهذا عذر علي رضي الله عنه سائر إخوانه الذين خالفوه، ولم يجدْ عليهم في ذلك ، فترحَّم على طلحة والزبير ، واستغفر لهما ، وقال لعمران بن طلحة ـ وقد دخل عليه فرحب به ـ : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عزوجل فيهم: ( ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سرر متقابلين ) .

وقال عن أهـل الجمل عموماً : إخواننا بغَوا علينـا فقاتلناهم ، وقد فاؤوا وقد قبلنا منهم .

وعذر أيضاً إخوانه الذين تخلَّفوا عن نصرته ، وقـد تخلَّف عنه جماعة من فضلاء الصحابة ، كسعد بن أبي وقاص
←

.. .. .. .. .. .. ..

---

→

وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعمران بن حصين وابن عمر وأسامة بن زيد ، ولقد قال له الأخير ــ حين أرسل إليه علي يطلب منه أن ينصره ــ : لو كنتَ في شِدْق الأسد ما تخلفت عنك ، لكن هذا أمر لم أره .

لقد عذرهم جميعاً ، وحملهم على أحسن المحامل .

٦ ــ كانت الفتنة التي تعرّض لها المسلمون بمقتل عثمان وما جرى بعده ، والتي فتح عليهم بها باب الفتن إلى يوم القيامة ؛ أكبر من تدبير المدبرين ، وحنكة العقلاء المحنكين، وإخلاص المخلصين . كانت فتنة كبيرة أخذت مجراها في حياة المسلمين جميعاً وغلب المقدور كل من عاناها ، وبقيت عبرة للأجيال اللاحقة عليها أن تقرأها لتنتفع بها .

ولقد ذهبت تلك الفتنة وعشرات الفتن بعدها،واكتسب مثيروها لعنة الله والناس ، وذهب ضحيتها شهداء أبرار كان منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعمار ، رضي الله عنهم أجمعين ، وخلّد التاريخ أسماءهم شهداء أبراراً ، وبقي لهذه الأمة قرآنها وسنة نبيها ــ وهما ركنا دينها ــ فلم تفقدهما ولم ترزأ بهما ، ولعمر الحق ، إنّ بهما لعوضاً عن كل مصيبة. وهنيئاً للشهداء الأبرار الجنة ، وليذهب أصحاب الفتن وتجارها إلى الجحيم .



# يومُه الأخيرُ

## - ١ -

اعتزل أبو موسى الأحداث بعد إخفاق التحكيم وعاد إلى سيرته الأولى التي رضيها بعد عزله عن الكوفة ، فانصرف إلى خاصة نفسه ، وشغل وقته بتلاوة القرآن الكريم والعبادة ، وتفقيه أولاده وإقرائهم القرآن الكريم .

وعلى الرغم مما جرى فقد كان على صلة حسنة بأمير المؤمنين علي ، وقد اعتذر إليه عما أدّاه إليه اجتهاده يوم التحكيم ، فعذره علي وقبل منه ، وقال أبو موسى لعلي : ما فعلت الذي فعلت إلا نصحاً للمسلمين ، فصدّقه علي ولم يعتب عليه .

وفي يوم من الأيام مرض الحسن بن علي في الكوفة ، فجاءه أبو موسى يعوده ، ودخل علي رضي الله عنه فرأى أبا موسى ، فرحب به ثم قال :

أعائداً جئت يا أبا موسى أم زائراً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا ، بل عائداً ، فقال علي : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما عاد مسلم مسلماً إلا صلّى عليه سبعون ألف ملك ، من حين يصبح إلى حين يمسي ، وجعل الله له خريفاً في الجنة » (١) .

وبعد استشهاد علي رضي الله عنه حزن عليه أبو موسى حزناً بالغاً ، إلا أنه لم ينصرف لنصرة ابنه الحسن الذي أصبح خليفة من بعده ، بل بقي على عزلته . بَيْدَ أن الأحداث جرت في مصلحة المسلمين جميعاً ، فلم يلبث السبط الكريم ابن الكريم أن وقى المسلمين شرّ فتنة عمياء ، فتنازل لمعاوية عن الخلافة في سنة إحدى وأربعين ، واجتمعت كلمة المسلمين على معاوية ، وبايع له سائر الصحابة وأكابرهم ، وفرحوا جميعاً باجتماع الكلمة .

وعلى الرغم من بيعة أبي موسى لمعاوية ، فقد بقي بعيداً عنه ، لا يستجيب لإلحاحه عليه بأن يأتيه ، واستمر على دأبه فيما انصرف له من العبادة والعمل لآخرته ، يعيش في الثويّة بظاهر الكوفة ، بعيداً عن جمهور الناس ، ويأتي إلى

---

(١) الخريف : الشجر .

الكوفة ، ويحج إلى بيت الله الحرام ، ويزور المدينة المنورة ، ويقف أمام قبر رسول الله ﷺ ، فيسلم عليه وعلى صاحبيه ، ويذرف دموع الحب والإكبار والوفاء .

## - ٢ -

نحن الآن في نهاية سنة أربع وأربعين للهجرة .. لقد أوفى صاحبنا على ثلاث وستين سنة من عمره ، ولقد أحس بشعور خفي بأن أجله قد اقترب ، فضاعف من اجتهاده في العبادة ، ورأى أولاده ما يعانيه من مشقة في الإكثار من العبادة ، فكلموه ، فأجابهم :

إن الخيل إذا قاربت مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك .

ولقد أضرت كثرة الصوم بجسمه ـ رحمه الله ـ حتى عاد كأنه « خلال » (١) فقيل له : لو أجممتَ نفسك ، فقال : أيهات (٢) !! إنما يسبق من الخيل المضمَّرة .

ولم يلبث أبو موسى أن مرض مرضاً شديداً أقعده عن القيام والحركة ، وازداد يقينه بقرب أجله ، فأقبل

---

(١) الخلال : العود الذي يتخلل به بين الأسنان .
(٢) أيهات : لغة في هيهات .

على ربه يدعوه بأن يختم له بالحسنى ، وأن يجمعه بنبيّه في الفردوس الأعلى .

ودعا أبو موسى بنيه وأهله وفتيانه وأوصاهم قائلاً :

« انظروا إذا أنا مت :

فلا تؤذننّ (١) بي أحداً .

وإذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي ، ولا يتبعني مُجمِر (٢) ، ولا يتبعني صوت ولا نار .

ولا تجعلوا في لحدي شيئاً يحول بيني وبين التراب .

ولا تجعلوا على قبري بناء .

وأشهدكم أني بريء من كل : حالقة ، أو سالقة ، أو شاقة (٣) » .

---

(١) تؤذنن : تُعلِمنّ .

(٢) مجمِر : الذي يبخر الميت بالبخور .

(٣) الحالقة : التي تحلق شعرها عند المصيبة . السالقة: ويروى : الصالقة : التي ترفع صوتها عند المصيبة . الشاقة : التي تشق ثوبها عند المصيبة .

وأحس الناس بمرض أبي موسى ، وعلم أهل الكوفة بذلك ، فجعلوا يتوافدون عليه يعودونه ، ويدعون له بالشفاء وطول العمر ، وأخذ هو يحدثهم عن الموت وأهواله وعن الروح ومصيرها ، وقال لعوّاده ذات يوم :

«تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحاً من المسك، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها ، فتلقّاهم الملائكة دون السماء ، فيقولون : من هذا معكم ؟ فيقولون : فلان ، ويذكرونه بأحسن عمله ، فيقولون : حيّاكم الله وحيّى من معكم . فتفتح له أبواب السماء، فيشرق وجهه ، فيأتي الربّ عزوجل ولوجهه برهان مثل الشمس .

وأما الآخر : فتخرج روحه وهي أنتن من الجيفة ، فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها ، فتلقّاهم الملائكة دون السماء ؛ فيقولون : من هذا معكم ؟ فيقولون: فلان ،ويذكرونه بأسوأ عمله ، فيقولون : ردوه فما ظلمه الله شيئاً . وقرأ لهم أبو موسى : ( لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط )(1) .

---

(1) سم الخياط : ثقب الإبرة .

- ٣ -

ألح المرض على أبي موسى ، وذوى جسمه ، وذابت حشاشته ، وجعل يصيبه الإغماء ، ويفيق ، وأخذ نساؤه يتعهدنه ، وأخذ هو يوصيهنّ بألا يصحن ولا يفعلن أي فعل نهى عنه النبي ﷺ. وفي احدى المرات أغمي عليه ورأسه في حجر إحدى زوجاته ، فأقبلت امرأته أم عبد الله تصيح برنّة ، ولم يستطع هو أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال لأهله :

أنا بريء مما برىء منه رسول الله ﷺ ، فإن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة .

ودعا أبو موسى فتيانه فقال لهم : اذهبوا فاحفِروا وأوسعوا وأعمقوا . فجاؤوا فقالوا : قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا ، فقال :

والله إنها لإحدى المنزلتين : أما ليوسعَنّ عليّ قبري حتى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً ، ثم ليفتحنّ لي باب إلى الجنة ، فلأنظرنّ إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله عز وجل لي من الكرامة ، ثم لَيصيبني من ريحها ورَوْحها حتى أبعث .

ولئن كانت الأخرى ــ ونعوذ بالله منها ــ ليضيقنّ عليَّ قبري حتى أكون في أضيقَ من القناة في الزج(١) ، ثم ليفتحنّ

(١) الزج : الحديدة التي تكون في أسفل الرمح .

لي باب من أبواب جهنم ، فلأنظرنّ إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي ، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث .

وجاء صباح يوم من أيام ذي الحجة ، وتنزلت كوكبة من الملائكة الكرام من ملأها الأعلى ، على بيت متواضع في الثوية ، يقيم فيه أبو موسى الأشعري . . وقبض الملائكة روح ذلك الربّاني الجليل برفق وأناة ، وصعدوا بها إلى بارئها . وودّع أبو موسى الحياة الفانية وأقبل على الحياة الباقية ، وبكاه أولاده وأهله واخوانه ، ثم غسلوه وكفنوه وصلوا عليه وحملوه على نعشه وساروا به إلى قبره ، فواروه فيه .

وطار خبر وفاة أبي موسى في المسلمين فحزنوا عليه أشد الحزن ، واشتدت لوعة الكبار من أصحاب رسول الله ﷺ عليه ، وكذا لوعة كبار التابعين ممن أخذ عنه القرآن والفقه ، وسجل التاريخ بخط عريض حدثاً كان من أبرز أحداث سنة أربع وأربعين (١) ـ سجل التاريخ :

وفي هذه السنة قضى في نهايتها الامام الكبير : أبو موسى الأشعري ، صاحب رسول الله ﷺ ، وأحد أعيان الصحابة وعلمائهم وربانييّهم .



(١) هذه سنة وفاته على الصحيح كما قرر مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي ، وهناك أقوال أخرى .



# الرّبّاني العَابد

« كان أبو موسى :

صوّاماً ، قوّاماً .

ربّانياً ، زاهداً ، عابداً .

ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر .

لم تغيره الإمارة ، ولا اغتر بالدنيا » .

هذه الكلمات القليلات التي قالها الامام الذهبي ـ رحمه الله ـ في أبي موسى ؛ تشير إلى معالم شخصية هذا الصحابي أبلغ إشارة ، وتتحدث عن جوانب هذه الشخصية أصدق حديث . ولقد تحدثنا طويلاً عن إمرته وجهاده وفتوحاته ، وعن تعليمه الناس ، وإقرائهم القرآن ، وتفقيههم في الدين ؛ بعد الحديث عن إسلامه وهجرته وصحبته للنبي ﷺ . وقد آن الأوان لنتحدث عن جانب عظيم من جوانب شخصيته ـ رضي الله عنه ـ وذلك هو جانب الربانية فيه .

لقد كان أبو موسى من أولئك العلماء الربانيين الذين اصطفاهم الله ، فجعلهم صفوة أصحاب رسوله ﷺ ، ولقد أفاد هؤلاء من النبي في حياته التقوى والاخلاص والزهادة ، وأفادوا منه العلم والعمل . ولقد عاشوا بعد وفاته على محجته وطريقته ، ولزموا سنته ، وتمسكوا بهدايته ، حتى أتاهم اليقين .

وإذا كانت الربانية هي : اجتهاد عظيم في طاعة الله تعالى، وتعظيم له وتوكل عليه ، وحياء منه وخشية له ، وإقبال على الدار الآخرة وزهادة في الدنيا ، وحياطة كل ذلك بالاخلاص والصدق ، ثم بالعلم والفهم ؛ إذا كانت الربانية ماذكرت، فإن أبا موسى قد أخذ منها بحظ وافر ونصيب كبير .

لقد كان يحرص طيلة صحبته للنبي ﷺ على أداء الصلاة معه ، ويتحمل مشقة المسير من وادي بطحان إلى المدينة ولا يعبأ بشيء في ليل أو نهار ؛ من أجل تحصيل الثواب الوافر . وكان رحمه الله كثير التهجد لم يتركه حتى فارق الدنيا ، يقوم الليل بالقرآن ، فيوقظ به النائمين فيغلبهم بالاستماع إليه عن نومهم ، ويستجلب به الملأ الأعلى (١) .

وكان يتهجد في الحضر والسفر ، وفي الحرب والسلم وفي سائر الأحوال .

---

(١) راجع الفقرة (٣) من فصل : في صحبة النبي ﷺ .

قال مسروق بن الأجدع (1) : « كنا مع أبي موسى في غزاة ، فآوانا الليل في بستان حَرْثٍ ، فقام أبو موسى من الليل يصلي ـ فذكر من حسن صوته ومن حسن قراءته ـ ثم قال(2) :

اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وأنت المؤمن تحب المؤمن ، وأنت المهيمن وتحب المهيمن ، وأنت الصادق وتحب الصادق » .

وارتحل مرة بأصحابه من مكة إلى المدينة ، فصلّى بهم في الطريق العشاء ركعتين وسلم ، ثم قام يتهجد وحده ، فقرأ مائة آية من سورة النساء في ركعة ، فأنكر ذلك اخوانه عليه ، فأجابهم :

**ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدمه ، وأن أصنع مثل ما صنع رسول الله ﷺ .**

وسافر مرة إلى دمشق في أيام معاوية ، فنزل بعض الدور ، وجعل يتهجد في الليالي ويقرأ القرآن ، فقيل لمعاوية مرة : إن أبا موسى يقرأ القرآن يتهجد به في جوف الليل ، فترك معاوية داره ، وذهب يستمع إلى أبي موسى من الليل إلى أن قضى صلاته .

---

(1) من كبار التابعين ومن عبّاد أهل الكوفة وقرائهم .

(2) القائل هو أبو موسى رضي الله عنه .

وكان كثير الصيام ، يصوم التطوع في الحضر والسفر ، ويتحرّى الأيام الشديدة الحر فيصومها ، فإذا قال له أحدٌ في ذلك ، حدثه بما سمعه وأصحابه من الملائكة وهم في عرض البحر ، وروى لهم كلمة الملك :

« إن الله قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله عز وجل في يوم حار ، كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة » .

وكان ـ رحمه الله ـ على جانب كبير من خشية الله والتوكل عليه والحياء منه ، عبَّر مرة عن نفرته من المعاصي خوفاً من الله فقال : لأن يمتلىء منخري من ريح جيفة ، أحب إلي من أن يمتلىء من ريح امرأة .

ووقع الطاعون مرة فجاءه أخوه أبو بُرْدة وقال له : اخرج بنا إلى وابق نبدو بها ، فقال أبو موسى :

**إلى الله آبق لا إلى وابق (١) .**

أما حياؤه من الله تعالى ، فقد كان مضرب المثل ، كان من شدة حيائه يغتسل في البيت المظلم ، فيحني ظهره

---

(١) لا شك أن تصرف أبي موسى إلى جانب دلالته على التوكل على الله تعالى يتفق مع توجيهات النبي ﷺ في قوله : إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها ولا تدخلوا إليها .

ولا ينتصب قائماً حتى يأخذ ثوبه ؛ حياءً من الله . وكان إذا نام لبس ثياباً مخافة أن تنكشف عورته .

وقال ــ وقد رأى قوماً يقفون في الماء بغير أزر ــ :
لأن أموت ثم أنشر ، ثم أموت ثم أنشر ، ثم أموت ثم انشر ، أحب إلي من أن أفعل هذا .

وكان يكثر من وصاة نسائه بالاستعداد لهول الآخرة ، فيقول للواحدة منهن :

**شدّي رحلك ، فليس على جسر جهنم معبر !!**

ومن أبرز خصائص الربانيين الاعراض عن الدنيا ، والاهتمام بالآخرة ، وكذلك كان صاحبنا ، فلم يعبأ بعرَض الحياة الدنيا ، ولم يتهالك على شهواتها ، وأخذ نفسه بمنهج الرسول في ذلك ، فسلم له دينه وقلبه . ولقد دخل ــ رحمه الله ــ البصرة على جمل أورق يوم جاءها أميراً ، وخرج على نفس الجمل بعد إمرة دامت اثنتي عشرة عاماً . ولقد نزع عن البصرة وليس في جيبه درهم ، فانتظر حتى خرج عطاء عياله من المدينة ، فارتحل إلى الكوفة وزهد في المبلغ الكبير الذي أرسل به عثمان إليه .

ذكروا أنه كان في مسير له في بلاد فارس ، فسمع الناس يتحدثون في شؤونهم بأبلغ الكلام فقال لأنس بن مالك ــ وكان

يسير إلى جنبه ـ : يا أنس ، هلمّ فلنذكر ربنا ، فإن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم (١) بلسانه . ثم قال :

يا أنس ، ما أبطأ الناس عن الآخرة ، وما ثبَّرهم عنها (٢) ؟ .

فقال أنس : الشهوات والشيطان .

وقال أبو موسى : « لا والله ، ولكن عجِّلت لهم الدنيا ، وأخِّرت الآخرة ، ولو عاينوا ما عدلوا ولا ميَّلوا » .

ولن يستقيمَ لعابدِ سلوك حتى يصونه بأمرين :
الاخلاص والصدق ، والعلم والفقه .

ولقد تأتَّى لأبي موسى من هذين الأمرين الشيء الكثير ، فقد كان رحمه الله لايبتغي بأعماله إلا وجه الله والدار الآخرة ، وقد وصفه النبي ﷺ بأنه مؤمن منيب .

وكان يرى أن الصدق هو أساس النجاة ، وهو رأس الأخلاق . ذكر أنس بن مالك ـ وكان من المقرّبين إليه ومن مستشاريه ـ أن أبا موسى قال له : جهزني ، فإني خارج يوم كذا وكذا .

---

(١) يفري الأديم: يشق الجلد، وهو كناية عن الفصاحة.

(٢) ما ثبرهم : ما الذي صدهم ومنعهم من طاعة الله . والثبر : الحبس .

قال أنس : فجعلت أجهزه ، فجاء ذلك اليوم وقد بقي من جهازه شيء لم أفرغ منه ، فقال : يا أنس إني خارج ، فقلت : لو أقمت حتى أفرَغَ من بقية جهازك ، فقال : إني قد قلت لأهلي إني خارج يوم كذا وكذا ، وإني إن كذبت أهلي كذبوني ، وإن خنتهم خانوني ، وإن أخلفتهم أخلفوني ، فخرج وقد بقي من حوائجه بعض شيء لم يُفرَغ منه .

أما جانب العلم والفقه فقد كان لأبي موسى منه حظ عظيم ، يصون به دينه وتقواه ، وينجو به من حيل إبليس وتلبيساته ، فقد تفقَّه على رسول الله ﷺ ، وأخذ عنه القرآن الكريم ، ثم عاش بعده يعلم الناس ويقرئهم القرآن ، ويتعلم أيضاً من إخوانه الذين أخذوا عن النبي أكثر مما أخذ ، ولقد أسِفَ يوماً أشد الأسف على مقالة فاتته من الصحابي الجليل أبيّ بن كعب ؛ فقد مات أبيّ قبل أن يتكلم بمقالته ، وقال أبو موسى يومها :

**والهفاه ! لو بقي حتى تبلغنا مقالته .**

وبالجملة : فقد كان أبو موسى من كبار أصحاب رسول الله ﷺ وخيارهم ، وكان إماماً ربانياً في تقواه وخلقه وعمله ، وفي كل أحواله . فرحمه الله رحمة واسعة ، ورضي عنه في الصدِّيقين المقرَّبين .

* * *

# في سجل الخلود

انتهت بوفاة أبي موسى رضي الله عنه حياة حافلة بالهجرة والجهاد والعلم والعبادة والاجتهاد والصدق ، لكن أبا موسى وإن مات فقد بقيت سيرته الطيبة للمسلمين يأتسون بها ويهتدون بنورها ، ولقد ترك هذا الصحابي للناس من بعده إلى جانب سيرته جملة من الأولاد العلماء القضاة الذين حدّثوا بحديث رسول الله ﷺ ، وساروا فيهم بسيرة والدهم العظيم .

ولقد كان أبو موسى من أولئك الصفوة المختارة الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فصحب النبي أحسن صحبة ، وتوفي عليه الصلاة والسلام وهو عنه راض ، وسجل اسمه في ديوان أكرم الخلق بعد الأنبياء ؛ ديوان أصحاب رسول الله . ويكفيه هذا فخراً عن كل فخر .

بيد أن أبا موسى حين يذكر فإنما يذكر في جملة سادات الصحابة وكبرائهم ، لما تمتع به من صفات وفضائل رفعته إلى هذه المكانة : فهو من السابقين إلى الاسلام ، ومن المهاجرين إلى الله ورسوله ، ومن عمّال النبي ﷺ وعمّال الخلفاء الراشدين جميعاً ، وهذا لم يحصل لغيره من الصحابة . ثم هو من العلماء القراء ، والزهّاد العبّاد ، والفاتحين المجاهدين . ولعمر الحق إن كل خصلة من هذه الخصال

لقمينة أن ترفع صاحبها مكاناً علياً ، فكيف إذا اجتمعت جميعها في شخص واحد .

ولقد عرف لهذا الصحابي النبيل فضله ومكانته سادات الاسلام وكبراؤه وعلماؤه عبر تاريخه الطويل :

لقد وثق به سيد السادات رسول الله ﷺ فولاّه عمله ودعا له دعاءً مباركاً فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » .

ثم وثق به من بعده خليفة رسول الله أبو بكر الصديق فأقره على عمله . أما عمر فكانت له مكانة رفيعة عنده وكان يقول عنه : إنه كبير ، ولقد ولاه على البصرة أميراً ولم ينزعه أبداً وأوصى أن يبقى من بعده .

وكان عبد الله بن عمر يرى مكانة أبي موسى عند أبيه ، فحفظ له هو الآخر هذه المكانة ، فقد قدم أبو بردة بن أبي موسى إلى المدينة ، فأتاه ابن عمر ، فقال : يا ابن أخي ، تدري لِمَ أتيتك ؟ فقال أبو بردة : لا ، فقال ابن عمر : فضلك وفضل أبيك ، فإني سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ : إن من بر الرجل بأبيه أن يبرَّ أهل ودِّ أبيه . وإن أبي كان يحب أباك .

وكتب إليه عثمان يقول :

إني لأحفظ قَيْد استعمال رسول الله وأبي بكر وعمر إياك ، وإني لأعرف فضلك ، وأنك من المهاجرين الأولين .

أما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، فإن قصته معه عجيبة ، فعلى الرغم من موقف أبي موسى السلبي منه ، فقد بقيت له منزلة كبيرة عنده ، هي منزلة العالم الصادق ، لذا أرسله ممثلاً له في مسألة التحكيم ، وهو يعلم أن أبا موسى سيقول الحق الذي يراه هو لا الذي يراه علي ؛ وهذا لعمر الله شيء عظيم من الرجلين : من علي وأبي موسى ففيه إيثار للحق ما بعده إيثار .

ولقد عرف فضل أبي موسى جمهور التابعين ، وكثيرون منهم قد أخذوا عنه ، وروى لنا التاريخ جملة من كلامهم في هذا الرجل :

يقول الأسود بن يزيد : لم أرَ بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى .

ويقول عامر الشعبي : يؤخذ العلم عن ستة : عمر ، وعبد الله ، وزيد ، يشبه علمهم بعضه بعضاً . وكان علي وأبيّ وأبو موسى يشبه علمهم بعضه بعضاً ، يقتبس بعضهم من بعض .

ويقول : قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد ، وأبو موسى.

ويقول صفوان بن سليم : لم يكن يفتي في المسجد زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء : عمر وعلي ، ومعاذ ، وأبي موسى .

ويقول الحسن البصري : ما قدم البصرة راكب خير لأهلها من أبي موسى .

ولقد كثر ثناء أئمة الاسلام عليه فيما بعد ، فوصفوه بأحسن الصفات ، وأثنوا عليه أطيب الثناء :

يقول فيه الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ :

كان عالماً عاملاً صالحاً ، تالياً لكتاب الله ، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن ، روى علماً طيباً مباركاً ، وأقرأ القرآن .

ويقول عنه في كتابه النبلاء :

الإمام الكبير ، صاحب رسول الله ، الفقيه المقرىء .

ويفتتح أبو نعيم الأصفهاني ترجمته في كتابه « حلية الأولياء » بقوله :

ومنهم العامل المعلّم ، صاحب القراءة والمزمار ، الرائض نفسه بالسياحة في المضمار ، الأشعري أبو موسى عبد الله بن قيس بن حضّار ، كان بالأحكام والأقضية عالماً ، وفي أودية المحبة والمشاهدة هائماً ، وبقراءة القرآن في الحنادس (١) مترنماً وقائماً ، وفي طول الأيام والحرور طاوياً وصائماً .

---

(١) الحنادس : جمع حندس : وهي الظلمة .

**وبعــد :**

فهذا هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنــه : عَلَم كبير ، وربّاني جليل ، شهدت الأمة بفضله قديماً وحديثاً ، ولئن غمطه بعضُ حقه المؤرخون ممن لم يتعمقوا الأحداث ، فوصفوه بما ليس فيه ، فإن هذا لا يضيره ، ويكفيه شهادة رسول الله ﷺ وشهادة خلفائه الراشدين به . ولئن تنقّصه قوم وأبغضوه وإخوانه من أصحاب رسول الله ﷺ لهوىً في نفوسهم ، فإن هذا لا يضيره ، واللهُ الموعد ، وعنده الجزاء الأوفى ، ويكفيه إكبار الأمة له ، وحبها له ولإخوانه الصحب الكرام رضي الله عنهم جميعاً .

فلتقرّ عينك يا أبا موسى ، يا صاحب رســول الله ، ولتهنأ روحك الطاهرة ، فرحمك الله رحمة واسعة ، ورضي عنك ، وغفر لك ما تقدم من ذنبك ، ونضّر وجهك « يــوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بــين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا ، واغفر لنا إنك على كل شيء قدير » .

« يوم ترى المؤمنين والمؤمنات نورُهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، بُشْراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، ذلك الفوز العظيم » .

* * *

# فهرس



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com




تطلب جميع منشوراتنا من:
دمشق - دار القلم - حلبوني - ص.ب ٤٥٢٣ - هاتف ٢٢٩١٧٧
بيروت - الشركة المتحدة للتوزيع - ص.ب ٧٤٦٠ - هاتف ٣٩٥٥٠١

**الثمن : ٥ ل.ل**